رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

بحوث في الأدب الأندلسي - ٢

الشكوى من العلة في أدب الأندلسيين

بقلم الدكتور
عبد الله بن علي بن ثقفان
أستاذ الأدب الأندلسي المساعد
كلية اللغة العربية - قسم الأدب
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
الرياض

مكتبة
التوبة

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الشكوى من العلة في أدب الأندلسيين

جَمِيع الحُقُوق محْفوظَة

الطبعة الأولى
١٤١٧هـ ~ ١٩٩٦م

مكتبة التوبة
الرياض ـ المملكة العربية السعودية ـ شارع جرير
هاتف ٤٧٦٣٤٢١ ص . ب ١٨٢٩٠ الرمز ١١٤١٥

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

بحوث في الأدب الأندلسي (٢)

الشكوى من العلة في أدب الأندلسيين

بقلم الدكتور
عبد الله بن علي بن ثقفان
أستاذ الأدب الأندلسي المساعد
كلية اللغة العربية - قسم الأدب
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
الرياض

مكتبة
التوبة

بسم الله الرحمن الرحيم

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

مدخل

لم يكن (ابن عبد ربه)[1] ببعيد عن الواقع الذي عاشته بلاده، وذلك عندما وضع في عقده عنواناً هو «بلاء المؤمن في الدنيا»[2] بادياً إياه بقول النبي ﷺ: «المؤمن كالخامة من الزرع: تميل بها الريح مرة كذا ومرة كذا، والكافل كالأرزة المجدثة على الأرض يكون انجعافها مرة. . .»[3].

فالأندلس منذ بداية تاريخها إلى نهاية الفترة الإسلامية فيها وهي ومن عليها يتعرضان للرزايا، وكثرة المصائب، وما ذلك إلا دليل على صدق حديث رسول الله (ﷺ)، ولهذا فإن إيمان (ابن عبد ربه) قد جعله ذلك الكاتب الذي لا تنبع كتابته من اندفاع زائف، إنما كانت استجابة لوضع معاش ومتوقع[4]:

إن المصائب في الأندلس قد أذلت الكثير من أهلها، فكم من ملك أو أمير أو مسود أذله الدهر[5]، ناهيك عن العامة فهي محل السيوف والتشريد

(١) ابن عبد ربه: أبو عمر شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيب بن حُدير القرطبي، مولى هشام بن عبد الرحمن بن معاوية (٢٤٦ ـ ٣٢٨ هـ). انظر ابن عبد ربه وعقده، ص ٢٣ ـ ٤٦، وقد حوت حديثاً موسعاً عن حياته، إذ اعتمد المؤلف على المصادر الأساس التي تحدثت عن حياة صاحب العقد الفريد.

(٢) انظر: الجزء الثالث من العقد، ص ١٣٧ وما بعدها.

(٣) انظر: السابق، ص ١٣٧.

(٤) انظر: حول الأديب والواقع، ص ١٧.

(٥) انظر: العرب في الأندلس، ص ٤٣.

والتنكيل، وما قول الشاعر الآتي من فراغ[1]:

أعندكم نبأ من أهل أندلس فقد سرى بحديث القوم ركبان
كم يستغيث بنا المستضعفون وهم أسرى وقتلى فما يهتز إنسان؟

وأين هذا القول الذي ينم عن ضعف متناهي، وعن خور وعن كثرة مصائب..؟ من قول الشاعر[2]:

ولسنا نبالي كيف سالت نفوسنا إذا نحن أدركنا الذي كان أجدرا

إن الضعف قد جاء ترجماناً لما عانت منه الأندلس وأهلها:

إن للدهر صولة وانقلاباً ولهذا نعيمه لن يدوما[3]

ونتيجة لما أحدثته الأيام، فما عاد للسعادة طعم عند الناس حتى وإن عرفوا الاستقرار في يوم من الأيام يستوى في ذلك الحاكم والعالم والإنسان العادي، فالحاكم بدءاً من (الداخل) وانتهاء (بابن الأحمر) عانوا من الصعاب والمشاق الكثير سواء أكانت داخلية أم خارجية وقد كفتنا كتب التاريخ مؤنة الحديث عن ذلك، (فالناصر)[4] الذي حكم الأندلس خمسين سنة (٣٠٠ ـ

---

(١) بيتان من قصيدة مشهورة للشاعر (صالح بن شريف الرندي) ومطلعها:
لكل شيء إذا ما تم نقصان فلا يغرَّ بطيب العيش إنسان
انظر النفح...، ج ٤، ص ٨٧ وما بعدها، وانظر ما كتب عنه في هامش ص ٤٨٦ من السابق.

(٢) بيت من مقطوعة منسوبة (لطارق بن زياد). انظر السابق، ج ١ ص ٢٦٥.

(٣) من مقطوعة للشاعر الشيخ أبي عثمان سعد بن أبي جعفر أحمد بن ليون التجيبي. انظر: النفح.. ج ٥، ص ٥٥٨ ـ ٥٥٩.

(٤) هو الخليفة (عبد الرحمن الناصر لدين الله بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل)، حكم الأندلس خمسين سنة وستة أشهر وثلاثة أيام، إذ تولى الحكم في مستهل شهر ربيع الأول سنة ثلاثمائة عند وفاة جده الأمير عبد الله بن محمد، وتوفي في ليلة الأربعاء لليلتين خلتا من شهر رمضان سنة خمسين وثلاثمائة، كان أعظم بني أمية بالمغرب سلطاناً، وأفخمهم في القديم والحديث شأناً وأطولهم في الخلافة، كما كان يضرب به المثل في الارتقاء =

٣٥٠ هـ) لم يصف له منها سوى أربعة عشر يوماً «إذ وجد بخطه ـ رحمه الله ـ أيام السرور التي صفت له دون تكدير يوم كذا من شهر كذا من سنة كذا ويوم كذا من كذا، وعُدت تلك الأيام فكانت أربعة عشر يوماً. . .»[١]، وقد علق صاحب النفح على هذا بقوله: «فاعجب أيها العاقل لهذه الدنيا وعدم صفائها، وبخلها بكمال الأحوال لأوليائها. . .»[٢]، و (المعتصم بن صمادح)[٣] «قد صدمته خيل المرابطين في آخر دولته وهو عليل علته التي مات منها، فحاصروه وقاتلوه ويقول أثناء ذلك: نُغِّص علينا كل شيء حتى الموت. . . إلى أن هلك بعد ذهاب المرابطين عنه. . .»[٤] وهو القائل حينما ألفى جاريته تبكي عند رأسه[٥]».

ترفق بدمعك لا تفنه فبين يديك بكاء طويل

وإذا كان ذلك قد حصل على (الناصر) و (المعتصم) فلا يغيبن عن بالنا ما حصل لآل عباد خاصة (المعتمد)[٦] ذلك الذي كان مشهوراً في حربه ضد أعداء الإسلام، وبسعة مجاله بين الطعن والضرب، وبأدبه[٧]، فقد تعرض

= في الدنيا والصعود. انظر ما كتب عنه في الحلة السيراء، ج ١، ص ١٩٧ وما بعدها، وانظر (عصر سيادة قرطبة)، ص ١٠.

(١) من النفح، ج ١، ص ٣٧٩.

(٢) انظر: السابق، نفس الصفحة.

(٣) هو محمد بن معن بن صمادح التجيبي المعتصم بالله، الملقب بأبي يحيى، حكم (المرية) أربعين سنة (٤٤٤ ـ ٤٨٤ هـ) انظر ما كتب عنه في الحلة. . .، ج ٢، ص ٧٨ وما بعدها.

(٤) من السابق، ص ٨٣ ـ ٨٤.

(٥) انظر: دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي، ص ١٧٢.

(٦) محمد بن عباد المعتمد على الله، ويلقب أيضاً بالظاهر وبالمؤيّد (٤٣٢ ـ ٤٨٨ هـ)، انظر الذخيرة. . ق ٢ م ١، ص ٤١، ٥٧ وانظر الحلة السيراء. . .، ج ٢، ص ٥٢ وما بعدها، وهناك خلاف في مولده، فصاحب الذخيرة ما أثبتناه، أما صاحب الحلة فقال سنة ٤٣١، انظر ص ٥٣، وانظر أيضاً كتاب: المعتمد بن عباد، لكمال أدهم.

(٧) انظر الذخيرة، ق ٢، م ١ ص ٤١.

في حياته لمآسي من قرأها لا بد له أن يكون «جامد الحس فاتر العاطفة حتى لا يأسى لمأساة المعتمد، ولا تهزه أشعاره الباكية، وأنغامه الشجية ويؤثر فيه ما ذاق من الهوان وتعرض له من سوء المعاملة في منفاه هو وزوجه وأولاده. . .[1]».

وتتواصل المآسي على أهل الأندلس خاصة حكامها، ثم تأتي أسوأ المآسي عندما نصل إلى (ابن الأحمر)[2] ذلك الذي بخروجه هو وأهله ومن معه من الأندلس «اختتمت المأساة الأندلسية، واستولى القشتاليون على «غرناطة» آخر الحواضر الإسلامية في إسبانيا، وخفق علم النصرانية فوق صرح الإسلام، وانتهت بذلك دولة الإسلام في الأندلس. . .»[3]، وبانتهائها «احتبست الزفرات في الصدور. . .»[4] وكان أكثر الباكين على ذلك التراث (ابن الأحمر) نفسه، «إذ وقف بعد التسليم يسرح بصره لآخر مرة في الربوع العزيزة على نفسه، وشهدت مواطن عزه وسلطانه، فانهمر في الحال دمعه، واجهش بالبكاء، فصاحت به أمه عائشة، «أجل فلتبك كالنساء ملكاً لم تستطع أن تدافع عنه كالرجال. .»[5].

---

(١) من: المعتمد بن عباد، ص ١٥.

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن أبي الحسن بن سعد بن علي بن يوسف بن محمد الغني بالله (٨٨٧ ـ ٨٨٩، ٨٩٢ ـ ٨٩٧ هـ). انظر: النفح. . .، ج ٤، ص ٥٢٨، وانظر سلسلة نسبه وفترتي حكمه في التأريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة (٩٢ ـ ٨٩٧ هـ)، ص ٥٦٦ ـ ٥٦٧ (قائمة نسب بني الأحمر).

(٣) من نهاية الأندلس، ص ٢٦٤.

(٤) من السابق، ص ٢٦٥.

(٥) من السابق،، ص ٢٦٧، وفي الواقع إن (ابن الأحمر) لم يسلم المدينة إلا نتيجة لعدم قدرته على الوقوف وحيداً أمام الزحف النصراني «وحرصاً على سلامة المدينة وسلامة الزعماء. . .» انظر السابق، ص ٢٥٧. أما والدته فهناك خلاف في اسمها، انظر السابق، ص ١٩٦ ـ ١٩٧، والغريب في الأمر أن ركز معظم الباحثين على هذه النهاية المؤسفة (لابن الأحمر) وللأندلس، وما علموا أن هناك من الحكام من =

لقد كان البكاء مرّاً خاصة عند الحكام أمثال (ابن الأحمر)، فقد أعياه علاج هذا الأمر الخطير، فكان ما كان، ولله الأمر من قبل ومن بعد[١].

أقول: إذا كانت تلك حال من لهم مكانة في الأرض الأندلسية، فكيف بالعلماء وأصحاب الفكر؟؟ فمن ينصفهم[٢] إذا كانت تلك حال ملوكهم وخلفائهم؟

كان العلماء والمفكرون في الأندلس قد «تفرقوا أيدي سبـاً»[٣] بسبب الفتن الداخلية والخارجية[٤] خاصة الأحياء منهم، الأمر الذي أدى إلى جعل الشخصية الأندلسية وبالذات شخصية المفكر تعيش في قلق، وتتنازعها أمور عدة، فبعضهم يرى أن بقاءه في بلده من الضعف الذي سيؤدي به إلى النهاية المجهولة، والبعض الآخر يرى أن ابتعاده عن الوطن مأساة تزيد على مآسيه التي يعاني منها داخلياً في نفسه[٥]:

= تصرف تصرفاً أسوأ من تصرفه ـ في حين أنه إذا طلب مساعدة من أحد فإن بإمكانه ـ (كابن ذي النون) الذي خرج من طليطلة عام ٤٧٨ هـ على أسوأ صورة وأقبحها، بينما (ابن الأحمر) ليس هناك في فترته من يساعده (عام ٨٩٧ هـ) ذلك لأن الضعف قد عم. انظر ما كتب عن (طليطلة) وابن ذي النون في النفح...، ج ٤، ص ٤٤٧.

(١) انظر ما كتب صاحب النفح عن «انتقاض حال الأندلس» في نفحه، ج ١، ص ٣٠٤ ـ ٣٠٥.

(٢) انظر رسالة الإمام الكاتب القاضي أبي المطرف بن عميرة التي وجهها إلى أبي جعفر بن أمية ـ في السابق، ص ٣٠٥ ـ ٣٠٨.

(٣) انظر: مجمع الأمثال، ج ١، ص ٢٧٩.

(٤) مثل حادثة (هيج الربض) و (فتنة قرطبة). عن الأولى انظر: تأريخ افتتاح الأندلس، ص ٦٨ ـ ٦٩، وعن (الثانية) انظر: الذخيرة...، ق ١، م ١، ص ٤٤ وما بعدها، وقد كتب عنها بتوسع الدكتور إحسان عباس في كتابه (عصر سيادة قرطبة)، ص ١٣٣ وما بعدها، أما الخارجية فتتمثل في الحروب بين المسلمين والإسبان وقد تحدثت عنها كتب التاريخ.

(٥) الشاعر، هو أبو إسحاق إبراهيم بن خفاجة، انظر: ما كتب عنه في الذخيرة...، ق ٣، م ٢، ص ٥٤١ وما بعدها وانظر: كتاب (ابن خفاجة... شاعر شرق =

آه مـــن غـــربـــة تـــرقـــرق بثـــاً آه مـــن رحلـــة تطـــول نـــواهـــا
آه مـــن فـــرقـــة لغيـــر تـــلاق آه مـــن دار لا يجيـــب صـــداهـــا

(فحادثة الهيج) كانت بفعل (أعلام قرطبة)، إذ أنكروا على الحكم بن هشام ١٨٠ ـ ٢٠٦ هـ أشياء رابتهم، فأرادوا خلعه وأرادوا وضع (ابن عمَّة له يعرف بابن الشماس) مكانه، لكنه نقل ذلك للحكم، وبعدها أخذت أسماء من شارك في هذه الحادثة فقبض على من قبض عليه، وفرَّ من فَرَّ شرقاً وغرباً[١].

أما «فتنة قرطبة»، أو «الفتنة البربرية» فقد قضت على كثير من العلماء والأدباء بالموت والتشريد[٢]، فقد أصيب في وقعة (قتنتيش) وحدها ما يزيد على ستين من المؤدبين خاصة[٣]، أما ما كان يسببه العدو داخل أرض الأندلس من قلق للناس بصفة عامة والمفكرين بصفة خاصة فيكفينا دلالة على ذلك ما حصل للشاعرين (عبد الجليل بن وهبون)[٤] و (ابن خفاجة)، «إذ لقي (عبد الجليل) (ابن خفاجة) بين لورقة.، والمرية، والعدو يُرَوّع حتى مهب الصبا، فباتا ليلتهما (بلورقة) إلى أن طلع لهما الصباح أو كاد فقاما، وقام الناس إلى رحالهم فشدّوها، وافتقدوا أسلحتهم وأعدوها، وساروا يطيرون وجلاً، ومنهم الشاعر (عبد الجليل)، فجعل (ابن خفاجة)

= الأندلس ٤٥٠ ـ ٥٣٣)، وانظر: البيتين في الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، ص ٣٣٦ وذلك في موضوع (شعر الغربة والحنين).

(١) انظر: تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٦٨ ـ ٦٩.

(٢) انظر: (عصر سيادة قرطبة)، ص ١٣٧.

(٣) انظر: السابق، الصفحة نفسها.

(٤) هو الأديب أبو محمد عبد الجليل بن وهبون المرسي. انظر ما كتب عنه في الذخيرة ق ٢، م ١ ص ٤٧٣ وما بعدها، وقد أشار المحقق في هامش الصفحة المذكورة للكتب التي ترجمت (لابن وهبون).

يؤمّنه إلى أن مَرَّا بمشهدين عليهما رأسان باديان وكأنهما بالتحذير لهما مناديان، فقال (أبو إسحاق بن خفاجة):

ألاّ رُبَّ رأسٍ لا تـــزاورَ بينـــه وبيـــن أخيـــه والمـــزار قـــريـــب

فقال عبد الجليل:

يقـول حـذاراً لا اغتـرار فطـالمـا أنـاخ قتيـل بـي ومَـرَّ سليـب[1]

«فما أتم قوله حتى لاح لهما قثام فانقشع عن سرية خيل كقطع الليل، فما انجلت إلاَّ (وعبد الجليل) قتيل و (ابن خفاجة) سليب...»[2].

ولعل أسوأ مأساة على الأندلس وأهلها تلك النهاية التي بسببها رحل «جمهرة كبيرة من أقطاب العلم والأدب، هم البقية الباقية من مجتمع الأندلس الفكري»[3]، فأصبحت الأرض بعدهم خاوية واستولى عليها النصارى[4]:

حكـم مـن ا لله حتـم لا مـرد لـه وهـل مـرد لحكـم منـه منحتـم

ولكثرة هجمات الأعداء على الأندلس وأهلها قبل أن تحل النهاية التي بها استولى الكفار على الأندلس الإسلامية، فإن أحدهم[5] قد قال مخاطباً الأحياء من أهل بلاده، داعياً إياهم بالخروج عن الأرض لكثرة الفتن[6]:

---

(١) انظر: الذخيرة... ق ٣، م٢، ص ٦٤٨ ـ ٦٤٩.

(٢) من السابق، ص ٦٤٩.

(٣) من نهاية الأندلس...، ص ٢٨٠.

(٤) من السابق، الصفحة نفسها، والبيت من قصيدة للشاعر (العقيلي) الذي رحل مع أميره (ابن الأحمر).

(٥) هو الشاعر عبد الله بن فرج اليحصبي، يعرف بابن العسال. انظر ما كتب عنه في: تأريخ الأدب العربي، ج ٤، ص ٧٠٦ ـ ٧٠٧ وقد أشار إلى مصادر ترجمة الشاعر.

(٦) انظر البيتين في المعجب.، هامش ص ٧٣، والنفح...، ج ٤، ص ٣٥٢، على أن الناظر يرى سلبية الشاعر وسلبية دعوته هذه أمام النصارى، وعدم القدرة على مواجهتهم.

يـا أهـل أنـدلـس حثـوا مطيّكـم فمـا المقـام بهـا إلاَّ مـن الغلـط

ثم قال:

ونحــن بيــن عــدوّ لا يفــارقنــا كيف الحياة مع الحيّات في سفط

و (ابن العسال) لم يكن الوحيد الذي دعا أهل بلاده للخروج عن هذه الفتن بشيء من السلبية، بل هناك (ابن الدباغ)[1] الذي قال عقب وقعة (العقاب):

فمـا فـي أرض الأنـدلـس مقـام وقـد دخـل البـلاء مـن كـل بـاب

تلك سلبية واضحة، إلا أن الواقع قد دعاهم ـ أقصد الشاعرين وأمثالهما ـ إلى هذه السلبية وهو واقع مرير عاشه الشاعران واستمر بعدهما في العصور اللاحقة؛

فنجد أن الوزير الكاتب (لسان الدين بن الخطيب)[2] قد قال في إحدى رسائله التي بعثها إلى سلطان فاس والمغرب على لسان الأمير يوسف بن ناصر (سلطان غرناطة):

«... وفي هذه الأيام عميت الأنباء، وتكالبت في البر والبحر الأعداء، واختلفت الفصول والأهواء، وعاقت الورَّاد الأنوا...، ثم يقول: والعدو بساحتنا في هذه الأيام ربض...»[3]، والكاتب نفسه قد قال في رسالة أخرى موضحاً الواقع المرير الذي يعيشه الناس في عصره: «وإن

---

(١) هو إبراهيم بن الدباغ الإشبيلي، يلقب بأبي إسحاق. انظر النفح...، ج ٤، ص ٤٦٤، أما موقعة (العقاب) فانظر ما كتب عنها في كتب التأريخ، مثل كتاب (التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة ٩٢ ـ ٨٩٧ هـ، ص ٤٩٠، ما بعدها.

(٢) لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد، ويعرف (بابن الخطيب السلماني ـ ٧١٣ ـ ٧٧٦ هـ). انظر ما كتب عنه في الإحاطة، ج ١، ص ١٨، ٢٠، ٤٣.

(٣) من النفح...، ج ٤، ص ٤١٨.

تشوفتم إلى أحوال هذا القطر ومن به من المسلمين، بمقتضى الدين المتين والفضل المبين، فاعلموا أننا في هذه الأيام ندافع من العدو تياراً، ونكابر بحراً زخاراً. . .»[1]، أما العامة، فقد تعذبت كثيراً نتيجة لما أحدثته الفتن في الأندلس، ففي عهد (الحكم بن هشام ١٨٠ ـ ٢٠٦ هـ) شعر الناس خاصة العامة منهم بالخوف ذلك لأنه قد حصلت بينه وبين عميه فتنه اغتنمها العدو الذي قصد (برشلونة)[2]، الأمر الذي الحق بالناس ضرراً شكوا منه، وفي مكان آخر من الأندلس وفي عهد الحكم نفسه سُمع صوت امرأة قالت فيه: «وآغوثاه. . . بك يا حكم، لقد أهملتنا حتى كلبَ العدوّ علينا، فأيّمنا وأيتمنا، فسألها أحدهم عن شأنها، فقالت: كنت مقبلة من البادية في رفقة، فخرجت علينا خيل العدو، فقتلت من قتلت وأسرت من أسرت. . .»[3] وكان (الحكم) رحمه الله قد لبى صوتها فأعلن الجهاد، ثم سألها ذلك الذي سمع صوتها الذي استغاثت به الحكم، فقالت: «والله لقد شفى الصدور، وانكى العدوّ، وأغاث الملهوف، فأغاثه الله. . .»[4] ولعل العامة عانت أكثر ما عانت أيام «الفتنة البربرية» التي كان من آثارها الهلع الذي أصيبت به النفوس من تغلب البرابرة وترصدهم الحرة والدور بالهتك والسلب، ولقد بلغ من إشفاق الناس يؤمئذ أنهم استفتوا شيوخ المالكية في تعجيل صلاة العتمة قبل وقتها خوفاً من القتل، إذ كان متلصصة البرابرة يقفون لهم في الظلام في طرق المسجد[5]، وفي النهاية أخذتهم الفتن الأخيرة[6]. . وأخذ

---

(١) من السابق، ص ٤٤٤.

(٢) انظر: النفح. . .، ج ١، ص ٣٣٩.

(٣) من السابق، ص ٣٤٣.

(٤) من السابق، الصفحة نفسها.

(٥) من تاريخ الأدب الأندلس (عصر سيادة قرطبة) ص ١٣٦ ـ ١٣٧.

(٦) من تاريخ آداب العرب، ج/ ٣، ص ٣٢٦، وذلك مثل فتنة (بلنسبة) التي استمر حصارها عشرين شهراً، فعدم الناس الطعام، وأكلوا الفئران والكلاب والجيف، ثم=

النصارى يحملون المسلمين على التنصير كرهاً «فمن خافهم عمّدوه. ومن خالفهم طردوه. . .»[1].

أقول: إن أهل الأندلس عامتهم وخاصتهم قد عانوا من العلل الكثير، فما تلك العلل؟ وما المقصود بها؟

إن البحث في الصفحات اللاحقة سيكشف عن بعض تلك العلل ودور الفكر في الكشف عنها، وهل وفق أم لا؟ وما دور المفكر في مثل هذه المراحل وعبر العصور التي مر بها ذلك المجتمع في الأندلس المفقودة؟؟.

= أخيراً أكل الناس بعضهم البعض فمن مات منهم أكلوه، فبلغ الناس من الجهد ما لا يطيقون. . . انظر النفح. . ، ج ٤. ص ٤٥٥ وما بعدها، وانظر: دروس من الأندلس، ص ٦٦.

(١) النفح. . ، ج ٤، ص ٥٢٧، وتأريخ آداب العرب، ج ٣، ص ٣٣٣.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

البحث

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الشكوى من العلة

كان أصحاب المعاجم قد تحدثوا عن «العلة» فقالوا:

إنها المرض، فاعتل فلان، أي مرض فهو عليل[١].

أو هي ما يحل بالمحل فيتغير به حال المحلّ، ومنه يسمى المرض علة، لأنه بحلوله يتغيّر حال الشخص من القوة إلى الضعف[٢].

أو هي ما يتوقف عليه وجود الشيء ويكون خارجاً مؤثراً فيه[٣].

أو هي كل حدث شاغل[٤]، يشغل صاحبه عن وجهه، فكأنَّ تلك العلة صارت شغلاً ثانياً منعه شغله الأول[٥].

وقالوا: إن العلة هي الحزن[٦].

---

(١) انظر: الصحاح، ج ٥، ص ١٧٧٣ مادة «علل»، ومجمل اللغة، ج ٣، ص ٦١٠، وكتاب الألفاظ الكتابية، ص ١٧٢ ـ ١٧٣، وانظر: القاموس المحيط، ص ١٣٣٨.

(٢) انظر: كتاب التعريفات، ص ١٥٩.

(٣) نظر: السابق، ص ١٦٠.

(٤) انظر مجمل اللغة، ج ٣، ص ٦١٠، والمعجم الوسيط، ج ٢، ص ٦٣١، وقد تحدث هدا المعجم عن العلة عند الفلاسفة، فقال: إنها ما يصدر عنه أمر بالاستقلال أو بواسطة انضمام غيره إليه فهو علة لذلك الأمر، انظر ص ٦٣٠.

(٥) انظر: القاموس المحيط، ص ١٣٣٨.

(٦) انظر المنجد...، ص ٥٢٧.

كما قالوا: إنها السبب[1].

أقول: إذا كان أصحاب المعاجم قد قالوا ذلك عن العلة، فإنها هنا تحدُّ بأمرين هما: «المرض والحزن»[2]، وكل التعاريف قد دارت حولهما.

والمرض قد يكون بدنياً، وقد يكون نفسياً، وبالتالي فإن الحزن جزء من المرض، أو هو المرض ذاته وذلك إذا تحول إلى «ألم نفسي»، فقد يكون علاجه أصعب من علاج المرض البدني لمعلومية هذا، وخفاء ذاك.

وبنظرة لتاريخ أهل الأندلس نجدهم قد عانوا من الأمرين «المرض والحزن»، إلا أن الحزن كان أعمق وأكثر مرارة وأشد إيلاماً، فظهر في فكرهم جلياً واضحاً غطى على الشكوى من الألم البدني أو الجسدي.

فكم قد تعرضوا للقلاقل والمحن والفتن؟!

وكم تعرضوا للتشريد؟!

وكم تعرضوا لتغير الأحوال وعدم الاستقرار؟!

---

(١) هكذا أطلق عليها بعض أصحاب الدراسات الشرعية، انظر: السبب عند الأصوليين، ج ١، ص ١٦٥، وأيضاً ص ١٧٧، على أن منهم من قال: «إن كل علة سبب وليس كل سبب علة»، انظر السابق، ص ١٦٧، ولذلك فالسبب أعم مطلقاً من العلة انظر السابق، ص ١٧٤، إذ يقول (البخاري) رحمه الله: «إن السبب لفظ عام يطلق على العلة، وعلى السبب المصطلح...»، انظر السابق، ص ١٧٥، وللتوسع في هذا، انظر ما كتب عن علاقة «السبب» بالعلة.. وذلك في السابق، ص ١٨١ ـ ١٨٨.

(٢) انظر ما كتب عن «المرض» في الطب النبوي، ص ٦٥، وأنه «مرض قلوب ومرض أبدان» وأن مرض القلوب مكون من نوعين، هما. «مرض شبهة وشك، ومرض شهوة وغي». وانظر أيضاً ما كتب عن «المرض النفسي» في القانون في الطب، ج ١، ص ١١١، وأن «النفس شيء آخر غير البدن مثلما يحدث عند الغضب والخوف وما يشبههما».

وكم تعرضت بلادهم للغزو؟

وكم تعرضت مدنهم للهدم والتخريب؟!

وكم.. وكم..؟؟

ألا ينتج عن كل ذلك قلق وألم في النفس؟

ألا يتحول كل ذلك إلى مرض وحزن؟!!

مـــــا لمجـــــدٍ علـــــمُ والـــــزمـــــانُ حكـــــمُ
وقضـــــايـــــاه غـــــدا جـــــورهـــــا يحتكـــــم

ثم قال:

آه مـــــن دهـــــر غـــــدا حُـــــرَّه يهتضـــــم[1]

كانت أيام المآسي قد غطت على أيام السّعادة عند أهل الأندلس، بل زادت عليها فكأنهم طيلة ثمانية قرون متلاحقة ما عرفوا للسعادة طعماً «ومتى علمنا أن الوقائع التي نشبت بينهم وبين الفرنجة بلغت ثلاثة آلاف وسبعمائة واقعة، إلى جانب ما قام بين فئاتهم المختلفة من فتن داخلية، أدركنا في أي تيار من القلق والحذر كانوا يعيشون..»[2] الأمر الذي جعل ذلك كله ينعكس على الشخصية الأندلسية، فأصبحت باكية. حزينة مريضة[3]:

---

(١) من مقطوعة للشاعر (حكم بن محمد) المدعو بذخر الدولة، انظر الحلة...، ج ٢، ص ٧٧ ـ ٧٨ وانظر أيضاً رسائل الشكوى من الزمان وأهله، وقلة الوفاء، وندرة الأخوان وكثرة الفساد، والشكوى من الفقر والمرض، وقد حوى بعضهما كتاب «أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري» وأشار إلى بعضها، انظر مثلاً ص ٢٩٢ وما بعدها، كما حوى «كتاب النثر الأدبي في الأندلس في القرن الخامس مضامينه وأشكاله» الكثير من هذه الرسائل التي شكا فيها أصحابها الكثير من ظروف الحياة التي سببت لهم قلقاً وهماً، انظر مثلاً ص ٥٩٤ ـ ٥٩٥، وص ٦٠٣ ـ ٦٠٦.

(٢) من العرب في الأندلس، ص ٧١.

(٣) من قصيدة «صالح بن شريف الرندي» انظر النفح...، ج ٤، ص ٤٨٦ ـ ٤٨٨.

فلو تراهم حيارى لا دليل لهم ... عليهم من ثياب الذلّ ألوان
ولو رأيت بكاهم عند بيعهم ... لهالك الأمر واستهوتك أحزان
يا رُبَّ أمٍّ وطفلٍ حيل بينهما ... كما تفرَّق أرواح وأبدان
وطفلة مثل حسن الشمس إذ طلعت ... كأنّما هي ياقوتٌ ومرجان
يقودها العلج للمكروه مكرهة ... والعين باكية والقلب حيران
لمثل هذا يذوب القلب من كمد ... إن كان في القلب إسلامٌ وإيمان

فأما مرضها فلم يظهر إلّا عند قلة قليلة من المفكرين الأندلسيين مثل «ابن شهيد» الذي همّ بقتل نفسه[1] لشدة ما أصابه، إذ نجده يقول[2]:

أنوح على نفسي وأندب نُبلها ... إذا أنا في الضرّاء أزمعت قتلها
رضيت قضاء الله في كل حالة ... عليّ وأحكاماً تيقّنت عدلها
أظل قعيد الدار تجنبني العصا ... على ضعف ساق أوهن السقم رجلها

وفي علته هذه كان قد خاطب أبا محمد علي بن حزم بقوله[3]:

خليلي من ذاق المنية مرة ... فقد ذقتها خمسين، قولة صادق
كأني وقد حان ارتحالي لم أمر ... قديماً من الدنيا بلمحة بارق

وكذا «ابن ولّاد»[4] الذي قال في عِلّة طاولته[5]:

ملني العائدات والعوّاد ... وجفاني الكرى فليلي سهادُ
قد ألفت الفراش حولاً عليلاً ... وبكبدي من السَّقام كُباد
إنما الداءُ والدواءُ من اللـ ... ـه وإن كان للطبيب اجتهاد

---

(١) انظر الذخيرة. . ، ق ١، م١، ص٣٢٨.
(٢) انظر الأبيات في ديوانه، ص ١٤٥.
(٣) انظر الأبيات في السابق، ص ١٣٣ ـ ١٣٤.
(٤) ابن ولّاد، هو أبو بكر محمد بن ولّاد، من أهل شلطيش بغرب الأندلس. انظر تحفة القادم، ص ٣٧.
(٥) انظر الأبيات في السابق، ص ٣٨.

و (ابن عبد ربه)[1] قال عن علته مخاطباً بعض صحبه[2]:

فلا تسألاني عن تباريح عِلَّتي ودونكما منّي الذي تريان
وإني بحمد الله راج لفضله ولي من ضمان الله خيرُ ضمان

وعلة المرض غالباً ما تكون مانعة لصاحبها من الحركة والنشاط، يقول (ابن عبدون)[3] في إحدى رسائله: «ولولا آلام تناوبت، وأسقام تعاقب لتلقيت أوبتك السعيدة بقدمي لا بمدادي وقلمي...»[4]، فابن عبدون هنا يشكو من علته التي كانت سبباً في منعه، على أن بعضهم قد يسلم من تلك العلة، ولكنه يخرج منها شاحب اللون، ضعيف البدن لا يقوى على حركة ولا على عمل، يقول (ابن سهل)[5]:

خلصت خلوص التبر من علة الضني وأشبهت منه صفرة بشحوب

وإذا كانت علة المرض تفعل كل هذا بالإنسان، فإن بعضهم قد يجد في (علته) لذة من ناحية خاصة كما نجد عند (المعتمد بن عباد) الذي قال[6]:

سأسأل ربي أن تدوم بي الشكوى فقد قرَّبت من مضجعي الرّشا الأحوى
إذا عِلَّةٌ كانت لقربك عِلَّةً تمنيت أن تبقى بجسمي وأن تقوى

---

(١) أحمد بن عبد ربه القرطبي الأندلسي (٢٤٦ ـ ٣٢٨ هـ)، صاحب العقد، وله ديوان جمعه وحققه وشرحه الدكتور محمد رضوان الداية.

(٢) انظر البيتين في الديوان: ص ١٨٦.

(٣) هو عبد المجيد بن عبد الله بن عبدون الفهري، يكنى أبا محمد، وينسب إلى يابرة (٤٤٠ ـ ٥٢٠ هـ) وقيل غير هذا التاريخ. انظر ديوانه ص ٤٣ ـ ٤٤، وانظر أيضاً الذخيرة...، ق ٢، م٢ هامش صفحتي ٦٦٨ ـ ٦٦٩.

(٤) من الديوان ص ١٩٦، والذخيرة... ق ٢، م٢، ص ٦٨٣.

(٥) إبراهيم بن سهل الإشبيلي (٦٠٩ ـ ٦٤٩ هـ) انظر ما كتب عن سيرته في ديوانه، ص ٥ وما بعدها، وانظر البيت الشعري في المصدر نفسه، ص ١٨.

(٦) انظر: المختار من شعر شعراء الأندلس، ص ٤٦.

فبالرغم من المرارة الداخلية التي يلاقيها الشاعر (المعتمد) من جراء علته، إلا أنه يُسَوِّف على نفسه، بل ويغطي على مرارة الألم بحضور من يهوى.

وإذا كان (المرض) قد أصاب أناساً فشكوا منه، فإن هناك آخرين سلموا منه، ولكنهم لم يسلموا من «الشيخوخة» والشيخوخة حتى وإن خلت من الآلام إلا «أنها قيد وأي قيد للإنسان»[1]:

وما يرتجي من بنت سبعين حجة ... وسبع كنسج العنكبوت المُهْلهَل
تَدبّ دبيب الطفل تسعى إلى العصا ... وتمشي بها مشي الأسير المكبّلِ

وشاعر آخر، قال عن شيخوخته[2]:

ألست ترى أن الزمان طواني ... وبدّل خلقي كُلَّه وبراني
تحيّفني عضواً فعضو فلم يدع ... سوى اسمي صحيحاً وحده ولساني
ولو كانت الأسماء يدخلها البلى ... لقد بلي اسمي لامتداد زماني
ومالي لا أبلى لتسعين حجَّة ... وسبع أتت من بعدها سنتان
إذا عَنَّ لي شخص تخيّل دونه ... شبيهُ ضباب أو شبيه دخان

وهو القائل أيضاً[3]:

قال الأمير مداعباً بمقالِه ... جاء الغزال بحسنه وجماله
أين الجمال من أمرىءٍ أربى على ... متعدد التسعين من أحواله؟

---

(١) من الشعر النسوي في الأندلس، ص ٦٥، أما البيتان فهما للشاعرة مريم بنت أبي يعقوب الأنصاري، انظر السابق نفس الصفحة، أما الشاعرة فانظر ما كتب عنها ص ٦٤ من نفس الكتاب.

(٢) القائل هو يحيى بن حكم البكري الجياني الأندلسي الملقّب بالغزال (١٥٦ ـ ٢٥٠ هـ). انظر الأبيات في ديوانه، ص ١١٢ ـ ١١٣، وأيضاً في المختار من الشعر الأندلسي ص ٢٤.

(٣) انظر: الديوان، ص ٩٨ ـ ٩٩.

ومن الشعراء الذين عانوا من (الشيخوخة)، الشاعر (ابن خفاجة ٤٥١ ـ ٥٣٣ هـ) الذي عمر طويلاً «حتى أنه بلغ مرحلة الملال من تقلب الأيام ومرور السنين وضعف جسمه»[١]، إذا نجده يقول[٢]:

أي أنـــس أو غـــذاءٍ أو سِنَـــة ... لابـــن إحـــدى وثمـــانيـــن سنـــة
قَلَّـص الشيـب بهـا ذيـل امـرىء ... طـــالمـــا جَـــرَّ صبـــاه رسنـــه
تـــارة تخطـــو بـــه سيّئـــةُ ... تسخـــن العيـــن وأخـــرى حسنـــه

والشاعر نفسه قد شعر بمرارة وألم في نفسه بعدما فقد صحابه، فقال[٣]:

وحسبي شجواً أن أرى الدَّار بلقعاً ... خـلاءً وأشـلاء الصَّـديـق تُـرابـا

ولم يكن (ابن خفاجة) الوحيد الذي ملَّ الشيخوخة، فهناك الشاعر (حبيب بن أحمد الشطجيري)[٤] الذي قال عن شيخوخته[٥]:

الحمـــد لله علـــى مـــا قضـــى ... فكـلُّ مـا يقضـي عليـه الـرَّضـا
قـــد كنـــت ذا أيـــد وذا قـــوَّة ... فـاليـوم لا أستطيـع أن أنهضـا
فـوضـت أمـري للـذي لـم يُضِـع ... مـن أحسـن الظـنَّ ومـن فـوَّضـا

وهناك من لم تسعفه موهبته. فتمثل بقول زهير بن أبي سلمي[٦]:

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش ... ثمـانيـن حـولاً لا أبـا لـك يسـأم

---

(١) من المختار من الشعر الأندلسي، ص ١١٣.
(٢) من السابق، الصفحة نفسها.
(٣) من السابق، ص ١٢٧.
(٤) انظر ما كتب عنه في جذوة المقتبس في تأريخ علماء الأندلس، ج ١، ص ٣١٠.
(٥) انظر السابق، الصفحة نفسها.
(٦) أما الذي تمثل فهو الشيخ أبو الحسن علي بن محمد بن خلف القابسي، شيخ علم، كان الطلبة يجتمعون حوله للسماع منه مما جعله يقول: «والله لقد قطعتم أبهري»، ثم تمثل بالبيت المذكور. انظر الصلة. . . ج١، ص ٢٥٥، والبيت من معلقة زهير. انظر: ديوانه، ص ٧٤.

الحزن والشخصية الأندلسية

لقد تملك الحزن من الشخصية الأندلسية فكأن شأنها في ذلك شأن الشاعر القائل[1]:

فمـا زلـت فـي خـوف ووحشـة وفي سهر يستغرق الليل واصب

ومن أجل ذلك نجد أن الأدب الأنلسي في معظمه قد تشكل في هذا الإطار الأمر الذي يدعونا للقول: أن النفس الأندلسية كانت غارقة في بحر من القلق والكآبة، ذلك الذي أفقدها الاستمتاع بالسعادة حتى وإن كانت عابرة.

إننا لو فتشنا في الفكر الأندلسي لوجدناه يحكي عن تلك الشخصية

---

(١) هو الشاعر (ابن الرومي) أبو الحسن علي بن العباس (٢٢١ ـ ٢٨٣ هـ) انظر ما كتب عنه مثلاً في الكتب التالية:

أ ـ أمراء الشعر العربي في العصر العباسي، ص ٢٨٢ ـ ٣٢٤ وقد أشار إلى مصادر دراسته ص ٢٨٢.

ب ـ الفن ومذاهبه في الشعر العربي، ص ٢٠٠ وما بعدها.

ج ـ العصر العباسي الثاني، ص ٢٩٦ ـ ٣٢٤.

د ـ رؤية جديدة لشعرنا القديم، ص ١٢٧ وما بعدها.

هـ ـ تأريخ الأدب العربي ـ الأعصر العباسية، ج ٢، ص ٣٤٠ وما بعدها، وقد أشار في هامش ص ٣٥٤ إلى مصادر دراسته. وانظر البيت في أمراء الشعر العربي في العصر العباسي، ص ٣٠٢، وفي رؤية جديدة...، ص ١٩٥.

الحزينة بوضوح وبالتالي فإن الباحث ـ أي باحث ـ ليس في حاجة لاجهاد نفسه في البحث عن الأدلة التي تثبت ذلك.

إن غالبية النصوص قد رُبطت بالوضع النفسي للمبدع أو المفكر فجاءت عاكسة لما يشعر به ذلك المبدع كجزء من مجتمع متكامل، ولما كانت كذلك فإن هذا يعني أن الشاعر أو الكاتب في تلك البلاد لم يغفل الحقيقة التي كان يعيشها هو ومجتمعه، فجاهر بها عبر أدبه وفكره بلغة صريحة لا التواء فيها ولا غموض، ولهذا فإن بامكاننا القول: أن ذلك الأمر هو الذي جعل الأدب الأندلسي متوهجاً على مدى الأيام لصدقه وحسن فاعليته، ومن هذا المنطلق، فإن التاريخ قد خلَّد أولئك المفكرين «الذين حملوا تلك الهموم وعانقوا تلك المسرات، واستقطبوا في نتاجهم كل ما تجيش به الصدور في وطنهم أو في ذواتهم من ثورة وخيبة وتمرد وخذلان وشوق ومرارة. . ، فاستحوذ الحزن والقلق والرغبة على شعهرم، وتلقفته الجموع مشدودة إليه، تتغنى به وتملأ حياتها بنغماته وسحره في نهم ظامىء إلى المزيد منه، وقد أدركت أنه زادها على الطريق. . . »[1].

إن الأديب الأندلسي قد مَرَّ بجميع الحالات الوجدانية الانفعالية التي مَرَّ بها الناس في مجتمعه فاختزنها ثم ألبسها لباساً أدبياً ظهر في الشعر والنثر[2]، ولهذا نجد أن قضايا العصر قد بدت واضحة كل الوضوح في عطائه، فإذا أردنا أن نعرف شيئاً عن المدن المدمرة، والدِّيار المخربة والمجتمع المشتت والعدو المتربِّص والضعف المتمكن إلى آخر ذلك، فما علينا إلا بالعودة لديوان الفكر الأندلسي لنقف على كل تلك القضايا التي ظهرت فيه، وهي قضايا عصرية ملحة اختزنها ذلك الفكر بعد أن اختزنها

(١) من رؤية جديدة لشعرنا القديم، ص ٢٦٢ ـ ٢٦٣.
(٢) انظر: سيكولوجية الإبداع في الفن والأدب، ص ١٨١.

عقل المفكر وأن كنا لا نهمل مزاجية الأديب أو المفكر، تلك المزاجية التي تجعله «لا يتلقى كل ما يصادفه، بل يتقبل ما يلائم طبعه ومزاجه»[١].

إن القلق قد كان غالباً على ذلك المزاج، فحتى الشاعر الذي (يتغزل) نجده قلقاً، حائراً كأنه يشكو من عِلَّةٍ داخلية هي أقرب لعلة المرض منها لعلة الشوق والحنين للآخر، فها هو (المستعين)[٢] يقول[٣]:

عجباً يهاب الليث حدَّ سناني ... وأهاب لحظ فواتر الأجفان
فأقارع الأهوال لا متهيباً ... منها سوى الإعراض والهجران

و «ابن شهيد[٤] قال[٥]:

أبى دمعنا يجري مخافة شامت ... فنظّمَه بين المحاجر ناظم
وراق الهوى منا عيون كريمةٌ ... تبسّمْن حتى ما تروق المباسم

و «المعتمد بن عباد» قد صاح قائلاً[٦]:

أيا نفسُ لا تجزعي واصبري ... وإلاّ فإنَّ الهوى متلف
حبيب جفاك وقلب عصاك ... ولاح لحاكِ ولا ينصف
شجون مَنْعن الجفون الكرى ... وعوّضنها أدمعاً تنزف

وهذا القلق يتحول عند (ابن السّماك)[٧] إلى علة نفسية تمثلت في ذلك

---

(١) من السابق، ص ١٧٧.
(٢) المستعين بالله أبو أيوب سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر...، انظر ما كتب عنه في الذخيرة...، ق ١، م ١، ص ٣٥ وما بعدها.
(٣) البيتان من مقطوعة للأمير سليمان بن الحكم. انظر السابق، ص ٤٧ ـ ٤٨.
(٤) أبو عامر أحمد بن عبد الملك بن شهيد. انظر السابق، ص ١٩١ وما بعدها.
(٥) انظر: السابق، ص ٣٢٢.
(٦) انظر القلائد، ص ٩.
(٧) الوزير الفقيه أبو محمد عبد الله بن سماك، انظر ما كتب عنه في القلائد...، ص ٢٣٥ وما بعدها.

الحزن الذي عانى منه إذ يقول[1]:

وكم راغب في موضع لا ينالَهُ وأمسيت منه مثل يونس في اليمِّ
بهذا قضى الرحمن في كل ساخط يموت على كرهٍ ويحيا على رغم

بينما يتحول عند بعضهم إلى بكاء[2]:

قد باح دمعي بما اكتُمهُ وحنَّ قلبي لمن يظلمه

ولا ننسى (ابن زيدون) فقد تحول العشق عنده إلى بكاء وألم[3]:

أبكي وفاءً وإن لم تبذلي صلة؛ فالطيف يقنعنا والذكر يكفينا

فإذا كان الشاعر المتغزل قد أظهر قلقه وحيرته، وهو قلق وحزن داخلي تحول إلى معاناة وألم، فإنه كذلك في بقية الأغراض، فها هو (الأعمى التطيلي)[4] يعتقد أن الثراء مصدر لكثير من الهموم[5] إذ نجده يقول[6]:

مللت حمص وملتني ولو نطقت كما نطقت تلاحينا على قدر
وسوّلت لي نفسي أن أفارقها والماء في المزن أصفى منه في الغُدر

---

(١) انظر: النفح. . . ، ج ٣، ص ٣١٤ ـ ٣١٥، وانظر أيضاً: الشعر الأندلسي في عصر الطوائف ـ ملامحة. . . ، ص ٤٠٣.

(٢) من موشحة (لابن اللبانة) ـ محمد بن عيسى بن محمد أبو بكر اللخمي. انظر الموشح الأندلسي، ص ١٨١ وما كتب عن الشاعر ص ١٧٥، والشاعر مشهور، وقد كتبت عنه المصادر الأندلسية المعروفة وذلك بخلاف المراجع، فهو شاعر آل عباد خاصة المعتمد.

(٣) انظر الديوان، ص ٩ ـ ١٣، والبتي من قصيدته المعروفة:

أضحى التنائي بديلاً من تدانينا ونـاب عـن طيـب لقيـانـا تجـافينـا

(٤) هو الأديب أبو جعفر الأعمي التطيلي. انظر ما كتب عنه في القلائد. . . ص ٣١٥ وما بعدها، وما كتب عنه في عصر الدول والإمارات (الأندلس)، ص ٢٠٠ وما بعدها.

(٥) انظر: الشعر الأندلسي في عصر الطوائف ـ ملامحة العامة. . . ، ص ٤٠٠.

(٦) من القلائد. . . ، ص ٣١٥.

وهو القائل أيضاً[1]:

تنافس الناس في الدنيا وقد علموا ... أن سوف تقتلهم لذاتها بددا
تبادروها وقد آذتهم فشلا ... وكاثروها وقد أحصتهم عددا
قل للمحدث عن لقمان أو لبدا ... لم يترك الموت لقماناً ولا لبدا

وهذه الأبيات زهد في الدنيا، ومثلها قول «الإلبيري»[2]:

كل امرىء فيما يدين يُدان ... سبحان من لم يخلُ منه مكان
يا عامر الدنيا ليسكنها وما ... هي بالتي يبقى بها سُكان
تفنى وتبقى الأرض بعدك مثلما ... يبقى المناخ وترحل الركبان
أأسَرُّ في الدنيا بكل زيادة ... وزيادتي فيها هي النقصان؟

وهو القائل لمن نصحه بالبحث عن منزل مناسب[3]:

قالوا ألا تستجدُّ بيتاً ... تعجب من حسنه البيوت
فقلت ما ذلكم صواب ... حفش كثير لمن يموت
لولا شتاء ولفح قيظ ... وخوف لصّ وحفظ قوت
ونسوة يبتغين ستراً ... بنيت بنيان عنكبوت
وأي معنى لحسن مغنى ... ليس لأربابه ثبوت

أقول: إن علة الحزن هنا ليست متمثلة في شعر الشاعر المتغزل أو الزاهد في الدنيا بقدر ما هي متمثلة في شعر الشعراء الآخرين الذين عانوا من عدة علل:

ـ بين علل ذاتية

ـ وعلل اجتماعية

---

(١) من السابق، ص ٣٢٢.

(٢) أبو إسحاق إبراهيم بن مسعود بن سعد التجيبي، اشتهر بالنسبة إلى (إلبيرة) فقيل فيه: أبو إسحاق الإلبيري ت ٤٦٠ هـ. انظر ما كتب عنه في ديوانه بقلم المحقق (الداية) وانظر الأبيات ص ١٤٠ ـ ١٤١.

(٣) انظر السابق ص ٧٠ ـ ٧١.

ـ وعلل فكرية

ذلك لأن الشاعر المتغزل أو الزاهد هو الذي جلب لنفسه غالباً هذه العلة، بينما غيره من الشعراء قد تفرض عليهم هذه العلل وذلك من عدة جوانب لعل أهمها (الإخلاص والوفاء والالتزام)، خاصة إذا ما علمنا أن السكان الأندلسين ـ ومنهم المفكر الأندلسي ـ قد كانوا من عناصر متباينة[1]، ولذا فإن الإخلاص والوفاء للأندلس يختلف من شخص لآخر، وإن كنا لا ننفي عن المتغزل والزاهد هذا الإخلاص أو ذاك الوفاء، لكننا نقول إن ذلك من حيث الوضع العام فليس قول الناثر الذي قال فيه: «غير أن الوطن محبوب، والمنشأ مألوف، واللبيب يحنُّ إلى وطنه حنين النَّجيب إلى عطنه...»[2].

كقول الشاعر[3]:

إذا كان أصلي من تراب فكلها بلادي، وكُلُ العالمين أقاربي
ولا بدّ لي أن أسأل العيس حاجة تشق على شَمّ الذّرا والغوارب

فالناثر والشاعر قلقان، بله وحزينان، إلا أن حزن (ابن زيدون) قد كان نتيجة لبعده عن المكان الذي يحن إليه، أما حزن (أمية بن عبد العزيز) فقد تمثل في حيرته واضطرابه مما جعله يسوف على نفسه بأن أرض الله كلها أرضه، بينما هو وأمثاله يمثلون في هذه الحالة قمة الضياع وعدم الوفاء لأرض عاشوا على ترابها، يقول أحدهم[4]:

ذروني أجب شرق البلاد وغربها لأشفي نفسي أو أموت بدائي

(١) انظر: الفن ومذاهبة في الشعر العربي، ص ٤١١.

(٢) هو (ابن زيدون) وهذ الجزء من رسالته الجدية، انظر: تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون، ص ٣٢٩ ـ ٣٣٢.

(٣) أبو الصَّلت أمية بن عبد العزيز بن أبي الصَّلت الإشبيلي. انظر: النفح ج ٢، ص ١٠٥، وقد ترجم المحقق له في هامش ص ٤٩٦ من نفس المصدر، ج ١، وانظر البيتين في ج ٢، ص ١٠٩.

(٤) القائل: أبو عيسى بن لبون. انظر ما كتب عنه في القلائد...، ص ١١١ وما بعدها، وانظر البيتين في السابق، ص ١١٥.

فلست ككلب السوء يرضيه مربض وعظـمٌ، ولكنـي عقـاب سمـاء

فالشاعر هنا يعاني من علة القلق والحزن الداخلي، ذلك القلق الذي ظهر لنا من خلاله رغبته «الدائمة» في التنقل بلا توقف، . . . ،[1]، وبهذا فهو يتفق مع سابقه في هذه الحيرة التي جعلتهما لا يشعران بالانتماء لمكان محدّد معلوم.

وعلى أي حال، إذا كان الشاعر صادقاً في انتمائه أم غير ذلك فهو يعاني من علة داخلية، تلك التي جعلتهم يتفقون في التعبير عنها مع اختلاف في القدرة على التعبير عن الأحاسيس الداخلية، أو على مدى استجابتهم «لما تمليه عليهم قلوبهم وعقولهم»[2]، وإذا كان هناك اختلاف في التعبير عما يشعر به هذا الشاعر أو ذاك، فإنهم قد حاولوا قدر استطاعتهم رسم ما أحسّوا به فعلاً[3] أو جربوه أو عايشوه.

وإذا كانت العلل قد تعددت بتعدد المؤثرات وبتعدد النفوس، فإن تلك العلل قد تتجزأ عند الشعراء، وقد تتفق في شاعر، فكم من شاعر عانى من العلل الذاتية ولكنه لم ينس مجتمعه الذي هو جزء منه وبلده الذي ينتمي إليه، كما لم ينس ذلك الفكر الذي ينتمي إليه أو ينتمي إليه المفكر في بلاده[4].

ولأن الأدب رحب «كرحابة الحياة الإنسانية بما تحفل به من صراع وتضارب، من متناقضات تنشأ عن الصراع بين رغبة الذات وبين شعورها بالمسؤولية وما يستقر في أعماق هذه الذات من دروب ومنحينات والتواء

---

(١) من الشعر الأندلسي في عهد الطوائف ـ ملامحه العامة . . . ، ص ٤٠٣.

(٢) من الشعر العربي في إسبانيا وصقلية، ١٠٢.

(٣) انظر: السابق، الصفحة نفسها.

(٤) انظر ما كتبه الدكتور إحسان عباس حول شخصية (ابن خفاجة) وذلك في كتابه (تاريخ الأدب الأندلسي ـ عصر الطوائف والمرابطين)، ص ٢٠٧.

وتعقيد..[1]، فقد كان وعاء لكل ما عانت منه نفس المفكر الأندلسي من حب وكراهية، من قلق وحزن، من أخذ وعطاء، من تفاعل وانزواء، من حنين ووجد إلى غير ذلك مما يشعر به الإنسان ـ أي إنسان ـ ، إلاَّ أن أهل الأندلس قد اختلفوا عن الآخرين.

قال (أبو المطرف بن عميرة)[2] متحدثاً على لسان أهل بلاده وما عانوه في حياتهم[3]:

زدنا على النائين عن أوطانهم ... وإن اشتركنا في الصَّبابة والجوى
إنا وجدناهم قد استسقوا لها ... من بعد أن شطت بهم عنها النّوى
ويصدّنا عن ذاك في أوطاننا ... مع حبُها الشِّرك الذي فيها ثوى
حسناء طاعتها استقامت بعدنا ... لعدوِّنا، أفيستقيم لها الهوى؟

هم أناس كالناس، إلا أن توالي العلل عليهم قد جعلتهم يتصفون بصفة خاصة جعلتهم يختلفون عن الآخرين، تلك الصفة التي تمثلت في القلق الذي عانوه في حياتهم من جراء الفتن الداخلية وكثرتها وتكالب العدو على البلاد ومضايقته لمن حَلَّ بها، فما عاد يعرف للسعادة طعماً حتى وإن زهت الأرض وتجملّت وكثرت إلينا بيع وتعددت.

إن النفس البشرية نفس حَسَّاسة، فكيف بها إذا تعددت حولها منغصات الحياة؟ إن المنغصنات التي تعرض لها أهل الأندلس كثر، ولأنهم لا يقبلون الضيم، ولا يحتملون الذل والمهانة[4]، فقد حلَّ بهم ما حلَّ دفاعاً عن

---

(١) من: حول الأديب والواقع، ص ١٨ ـ ١٩.
(٢) أبو المطرف بن عميرة، هو أحمد بن عبد الله بن عميره المخزومي ت ٦٥٨ هـ. انظر ما كتب عنه في النفح ج ١، ص ٣١٣ ـ ٣١٧ وقبله انظر: تحفة القادم، ص ٢٠٩ ـ ٢١٦.
(٣) انظر الأبيات في النفح..، ج ١، ص ٣١٠.
(٤) انظر النفح ج ٣ ص ١٥٠ ـ ١٥١.

النفس والوطن وقد انعكس ذلك على النفس التي أصبحت قلقة حائرة مضطربة، فنجدها تقاتل فَتَقْتُل أو تُقْتَلُ[1] أو تُطرد فتشرَّد[2]، «فتفرّق من شملهم ما كان الدهر قد جمعه..»[3]، قال الشاعر[4]:

أنلهو والحتوفُ بنا مطيفة ونأمن والمنون لنا مخيفة

ولتتابع ذلك القلق، فقد قال الشاعر ناصحاً بني قومه[5]:

من ظن أن الدهر ليس يصيبه بالحادثات فإنه مغرورُ
فالق الزمان مهوِّناً لخطوبه وانجر حيث يجرك المقدورُ
وإذا تقلبت الأمور ولم تُدم فسواء المحزون والمسرورُ

ونصح الشاعر هنا أقرب للتسويف والسلبية أكثر منه للجد، وإذا كان قد قال هذا، فإن هناك من الشعراء من أوضح في شعره أن الناس قد تغيروا وتبدلوا[6]:

تغير إخوان هذا الزمان وكل صديق عراه الخلل
وكانوا قديماً على صِحَّة فقد داخلتهم حروف العلل
قضيت التعجب من أمرهم فصرت أطالع باب البدل

ويبدو تأثر الشاعر الواضح بعلم العروض والنحو.

---

(١) لقد وصف صاحب «النفح» أهل الأندلس بأنهم أهل جهاد. انظر السابق ج ١، ص ١٤٥، ١٩٠.

(٢) وإذا كان قد وصفهم بالجهاد، فإنهم أيضاً قد شردوا عن بلادهم إما بسبب الفتن الداخلية أو بسبب العدو. انظر السابق ج ٣، ص ١٥٢.

(٣) من السابق، ص ٢٤٣.

(٤) القائل (ابن زيدون) انظر: السابق، الصفحة نفسها.

(٥) من السابق، ج ٢، ص ٢٦٠.

(٦) من السابق ص ٤٩١، والقائل هو (ابن جبير)، أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير الكناني، انظر ما كتب عنه ص ٣٨١ وما بعدها من نفس المصدر السابق، وانظر مصادر ترجمته في هامش المحقق ص ٣٨١.

ونتيجة لغدر الزمان، فإن الشاعر نفسه لم يعد يثق في أحد، إذ نجده يقول[1]:

صبرت على غدر الزمان وحقده وشاب لي السمَّ الزُّعافَ بشهده
وجرَّبت إخوان الزمان فلم أجد صديقاً جميل الغيب في حال بعده

فالشاعر هنا حزين على عدم وجود الصديق الوفي، ولكن غيره كان حزيناً لأن البلاد خلت من الحبيب[2]:

لقد مررت على المنازل بعدهم أبكي وأسأل عنهم وأنوح
وأقول: إن سألوا بحالي في النوى ما حال جسم فارقته الروح؟

وقال آخر[3]:

يقول الناس في مَثَلٍ تذكر غئباً تَره
فمالي لا أرى وطني ولا أنس تذكُّره

فإذا كانت الكلمات عند الأديب تعبيراً عن الإحساس[4]، فهي كذلك عند الشاعر والناثر في الأندلس، إذ استطاع مفكروا تلك البلاد جعل تلك الكلمات أداة مناسبة للتعبير عن ذلك القلق والحزن، بل عن تلك العلل التي عانوا منها كثيراً والتي سنلحظها فيما يأتي:

---

(١) انظر: السابق، ص ٤٩٠.
(٢) القائل هو أبو جعفر الوقشي. انظر ما كتب عنه في السابق ج ٤، ص ١٣٨ وما بعدها، وانظر البيتين في ص ١٣٩.
(٣) القائل هو أبو الطاهر الجّياني، وهو إسماعيل بن مسعود الخشني ابن أبي ركب. انظر ما كتب عنه في تحفة القادم ص ٣٤ وما بعدها. وانظر البيتين في السابق ص ٣٤، وقد وردا في النفح. . ج ٤، ص ٣٢٣.
(٤) انظر: نقد الشعر في القرن الرابع الهجري، ص ٣٣٥ ـ ٣٣٦.

أولاً: العلل الذاتية

وهي تلك العلل التي تلتصق بالإنسان أو هو يلتصق بها، وهي متعددة ومتلونة بتعدد الأهواء والمشارب، والإنسان الأندلسي قد عانى من علل ذاتية سببت له توتراً داخلياً[1] أدى إلى عدم الاستقرار النفسي عند هذا المفكر أو ذاك، قال أحدهم شاكياً وضعه مبدياً قلقه بل ضعفه أمام ما تعرض له من علل[2]:

وما النفس إلا حيث يجعلها الفتى ... فإن طمعت تاقت وإلا استذلت
وكانت على الأيام نفسي عزيزة ... فلما رأت صبري على الذل ذلت

والعلل الذاتية تتعدد وتتلون، فالمفكر الأندلسي قد عانى من مرارة الهجران ووجع الشكوى كما عانى من التعاسة ومن الخوف ومن الغربة والحنين، كما هو أيضاً قد أنَّ من الفراق ومن الفقد ومن الظلم، ولا ننسى الحسد والوشاية، قال (ابن حزم): «ولا سيما أندلسنا فإنها خُصّت من حسد أهلها للعالم الظاهر فيهم، الماهر منهم، واستقلالهم كثير ما يأتي به، واستهجانهم حسناته وتتبعهم سقطاته وعثراته...»[3] قال (والد ابن

---

(١) انظر: دراسات في الأدب الإسلامي والأموي. (الشعراء نقاداً)، ص ١٥٨.

(٢) من مقطوعة للمصحفي (الحاجب جعفر بن عثمان المصحفي) انظر المقطوعة وصاحبها في: مطمح الأنفس، ص ١٥٣ وما بعدها وقد أشار محقق الكتاب في هامش ص ١٥٣ إلى مصادر ترجمة الشاعر المصحفي.

(٣) من الشعر الأندلسي في عصر الطوائف، ملامحه العامة.. ص ٧٥ ـ ٧٦، وانظر ما كتب عن الحسد والوشاية في الكتب التالية، وقد حوت بعض الشواهد: =

الأبار)[1] مدلاً على ما كان الناس فيه[2]:

جرت عادة الناس أن يسألوا ... عن الحال في كل خير وشر
فكل يقول بخير أنا ... وعند الحقيقة ضد الخبر

فقدكانت حال أهل الأندلس كذلك، يظهرون السعادة والواقع غير ذلك، فهم كما قال الشاعر المشرقي[3]:

فريقان: منهم جازع بطن نخلة ... وآخر منهم قاطعٌ نجد كبكب

أو كما قال الشاعر الأندلسي[4]:

تقسَّمهنَّ السيف والحيف والبلى ... وشطت بنا عنها عصور وأزمان
كما اقتسمت أخذانهن يد النوى ... فهم للردى والبر والبحر إخوان

= ـ الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة ص ١٦١.
ـ نفح الطيب ج ٢، ص ٢٥٧، ج ٣، ص ١٦٦ ـ ١٦٧، ص ٣٦٤ ـ ٣٦٥.
ـ المقتبس ص ١٨٤ ـ البيان المغرب ج ٢، ص ١٠٩ ـ ١١٠.
ـ الذخيرة ق ٣، م ١، ص ٥٢١ ـ ٥٢٢، والذخيرة ق ٢، م ١، ص ١٧٣.
ـ القلائد، ص ١٥ ـ ١٧، ـ المغرب، ج ٢، ص ٤٠٢، ٤٤٣.
ـ المعجب، ص ٣٠٦ ـ شعر الرمادي، ٣٢ ـ ٣٣.

(١) هو عبد الله بن أبي بكر بن عبد الله بن عبد الرحمن القضاعي من أهل العلم والدين، والد صاحب كتاب الحلة السيراء، انظر ترجمة (ابن الأبّار) لوالده في مقدمة المحقق التي كتبت في الجزء الأول ص ١٤ ـ ١٥.

(٢) انظرهما في السابق، ص ١٥.

(٣) الشاعر امرؤ القيس بن حجر بن الحارث بن عمرو بن حجر، شاعر مشهور (٥٠٠ ـ ٥٦٠ م) وانظر البيت في ديوانه ص ٣١، وهو من قصيدته التي مطلعها:

خليليَّ مرا بي على أم جُندبِ ... لتقضي لبانات الفؤاد المعذب

الديوان ٢٩ ـ ٣٨، وانظر البيت المذكور أيضاً في الذخيرة. . ، ق ٣، م ١ ص١٠.

(٤) الشاعر أبو عمر أحمد بن محمد بن درَّاج القسطلي (٣٤٧ ـ ٤٢١ هـ) انظر ما كتب عنه في الذخيرة: ق ١، م ١، ص ٥٩ وما بهذا، وكان الدكتور (عباس) في كتابه (تاريخ الأدب الأندلسي ـ عصر سيادة قرطبة) قد أشار إلى مصادر ترجمته، انظر ص ٢٣٧، أما الأبيات فانظرها في الذخيرة ق ٣، م ١، ص ١٠.

إذا شرق الحادي بهم غرَّبت بنا نوى يومها يومان والحين أحيان

وإذا كانت هذه العلل قد تعددت فإنها كانت تمثل أرضاً خصبة لقول الشعر خاصة، فكان شأن مفكري الأندلس مع عللهم الذاتية كشأن الشاعر المشرقي «الكميت»[1] مع الهاشميات، تلك التي أبدع فيها مما حدا (بالفرزدق)[2] إلى القول عنه: «لقد وجد آجراً وجصاً فبنى..»[3]، والفرزدق نفسه هو القائل: «وهل الشعر إلا في الخوف والرجاء وعند الخير والشر..؟»[4].

إننا إذا بحثنا في ديوان الفكر الأندلسي سنجد أن معظمه قد دار حول الذات الأندلسية وما يتعلق بها، وإذا أخذنا منه ما يتعلق بما نحن بصدده لوجدناه غالباً من حيث الكم، ودلالة الغلبة هنا تعني ما قد عاناه المفكر الأندلسي في حياته، وأنه قد استطاع أن يسخر موهبته للحالة النفسية التي كان يشعر أو قد شعر بها بغض النظر عن قيمة هذا الشعر من الناحية الفنية أو تميزه من الناحية النقدية، فالحياة قد جعلت من ذلك الأديب معبراً عن مكنوناته بطريقة تلقائية قد تكون هذه الطريقة سطحية وقد تكون أدوات التعبير فيها جيدة.

أقول: إذا كان الشعر تعبيراً عن العواطف أو هو «فيض تلقائي لمشاعر

---

(١) الكميت، هو أبو المستهل الكميت بن زيد الأسديّ (٦٠ ـ ١٢٦ هـ). انظر ما كتب عنه في تاريخ الأدب العربي ج ١، ص ٦٩٧ ـ ٧٠٤، وقد أشار في ص ٧٠٤ إلى بعض مصادر ترجمته.

(٢) الفرزدق، هو أبو فراس همام بن غالب بن صعصعة ٢٠ ـ ١١٤ هـ. انظر ما كتب عنه في السابق ص ٦٤٩ ـ ٦٦٣ وقد أشار في الصفحة الأخيرة إلى بعض مصادر ومراجع ترجمته.

(٣) من: (الشعراء نقاداً)، ص ١٦٢.

(٤) الأغاني...، ج ٨، ص ٣٧، وانظر السابق ذكره في رقم (٣)، ص ١٥٩.

قوية. .»[1]، ومثله النثر، فإن المفكر الأندلسي قد سخَّر فكره ليكون مرآة عاكسة[2] لما كان في دواخله أو مكنوناته، وهي مكنونات قد أصابها القلق فكان ذلك العطاء صورة صادقة لما في النفس أو لما كان ذلك المفكر يشعر به؛ وهذا العطاء قد جعلنا وكأننا نعايش أولئك القوم بما هم فيه فكان شأننا في ذلك كشأن (محمد بن يسير)[3] الذي قال ـ مع اختلاف في المناسبة ـ[4]:

حتى كأني قد شاهدت عصرهم ... وقد مضت دونهم من دهرهم حقب

إن الحياة الأندلسية لم تصف لأحد، وليس ذلك بغريب، فهذا شأن الدنيا بخاصة مع الإنسان المفكر[5]:

وصاحب العقل في الدنيا أخو كدر ... وإنما الصفو فيها للمجانين

قال الشاعر شاكياً حاله[6]:

يا عمرو أين عمير من كدى يمن ... لقد هوت بك يا عمرو الرياح وبي

طول ارتحالي وأَحظٍ غير طائلة ... وغيبةٌ ناهزت عشراً من الحقب

---

(١) من كتاب في نظرية الأدب، ص ٢١٨.

(٢) انظر: نظرية الانعكاس في السابق، ص ٨١.

(٣) محمد بن يسير الرياشي يلقب بأبي جعفر. انظر ما كتب عنه في تاريخ الأدب العربي ـ الأعصر العباسية، ج ٢، ص ٢٢١ ـ ٢٢٣، وقد أشار الكتاب المذكور إلى بعض مصادر ترجمته في ٢٢٣.

(٤) انظر: العصر العباسي الأول، ص ١٤٨.

(٥) انظر القصيدة كاملة في (النفح) ج ١، ص ٥٤٢ ـ ٥٤٤ ومنها البيت السابق، وقد سميت بـ«كنز الأديب» وقد نقلها «فون شاك» في كتابه (الشعر العربي في إسبانيا وصقلية) ص ١٨٩ وما بعدها.
أما القائل فهو أبو القاسم عامر بن هشام القرطبي ت ٦٢٣ هـ. انظر ما كتب عنه في تأريخ الأدب العربي، ج ٥، ص ٦٤٠، وقد أشار إلى مصادر ترجمة الشاعر في صفحتي ٦٤٤ ـ ٦٤٥.

(٦) القائل هو أبو عبد الله محمد بن غالب الرصافي البلنسي ت ٥٧٢ هـ. انظر ما كتب عنه في مقدمة ديوانه، وانظر البيتين في ص ٣١.

وقال آخر[1]:

بنجد أناخو العيس بعد تهامة ... ويا بُعدَ ما بيني وبينك يا نجد

وهو[2] القائل:

لي سكنٌ شطت به غربةٌ ... جادت لها عيناي بالمزن
ما حَسُنَ الصبح ولا راقني ... بياضه مذبانَ في الظّعن
كأنما الصبحُ لنا بعده ... عين قد ابيضَّت من الحزن

و (ابن زيدون) هو القائل شاكياً:

أنّ الزمان الذي مازال يضحكنا ... أُنساً بقربهم، قد عاد يبكينا
غِيظَ العدا من تساقينا الهوى فدعوا ... بأن نغص، فقال الدهر: آمينا
فانحلّ ما كان معقوداً بأنفسنا ... وانبتَّ ما كان موصولاً بأيدينا

إننا نعلم أن شكوى (ابن زيدون) شكوى ذاتية تتعلق بالبعد والهجران القسرى، إلا أن هذا الأمر ينطبق أيضاً على أهل الأندلس، خاصة أولئك الذين عانوا من القلق والحزن وإن تعددت أو اختلفت الأسباب في تكوين ذلك القلق.

إن قلق أهل الأندلس لهو أشبه بالموت الذي تتعدد أسبابه ولكنه واحد، أو كما قال الشاعر المشرقي:

من لم يمت بالسيف مات بغيره ... تعددت الأسباب والموت واحد

---

(١) هو علي بن عطية الله بن مطرف بن سلمة اللخمي يعرف بابن الزقّاق البلنسي ٤٨٩ - ٥٣٠ هـ على خلاف في هذا التاريخ. انظر ما كتب عن الشاعر وحياته في مقدمة المحقق، وانظر البيت ص ١٤٢، وهو من مقطوعة مطلعها:

رمى أدمعي نصُّ الركائب والوخدُ ... فأبدت هوى من لم يكن سَقِماً يبدو

(٢) انظر: الديوان، ص ٢٧١، وقد قال عن زمانه:

ألا عظة، إن الزمان خؤون ... وإنَّ ملمات الزمان فنون

انظر ص ٢٧٦ من السابق.

إن الشعر والنثر الأندلسي قد جاء حافلاً بالإشارة[1] إلى ذلك الحزن والقلق المعاش، ففي الغزل نجد تعبيراً عن الهوى الخائب[2]:

لعمرك ما سر الرياض بوصلنا ... ولكنه أبدى لنا الغل والحسد
ولا صفق النهر ارتياحاً لقربنا ... ولا غرد القمري إلا لما وجد
فلا تحسن الظن الذي أنت أهله ... فما هو في كل المواطن بالرّشد

وقال الشاعر المرواني الطليق[3]:

أقول ودمعي يستهلُّ ويسفح ... وقد هاج في الصدر الغليل المُبرَّح
دعوني من الصبر الجميل فإنني ... رأيت جميل الصبر في الحب يقبح

وابن شهيد قد قال[4]:

وقالت النفس لما أن خلوت بها ... أشكو إليها الهوى خلواً من النِّعم
حتام أنت على الضراء مضطجع ... مغرسٌ في ديار الظلم والظلم
وفي السُّرى لك لو أزمعت مرتحلاً ... برء من الشوق أو برء من العدم

وابن زيدون هو القائل[5]:

حالت لفقدكم أيامنا فغدت ... سوداً أو كانت بكم بيضاً لياليا

---

(١) انظر: الشعر العربي في إسبانيا وصقلية، ص ٩٤، على أنه ينبغي أن نعرف أن الموضوع الذي أشار إليه صاحب الكتاب المشار إليه لا يتعلق بما نحن بصدده، إذ كان حديثه عن تعلق الأندلسيين بأساطير العرب وأبطالهم في أشعارهم فجاء شعرهم حافلاً بالإشارة إلى هذا ومن هنا أحببت الإشارة إلى هذا الأمر لأهميته.

(٢) القائلة هنا: (حفصة بنت الحاج الركونية). انظر ما كتب عنها في (الشعر النسوي في الأندلس) وانظر الأبيات ص ١٢٤ ـ ١٢٥.

(٣) هو أبو عبد الملك مروان بن عبد الرحمن بن مروان بن عبد الرحمن الناصر، ت ٤٠٠ هـ.
انظر ما كتب عنه في المختار من الشعر الأندلسي، ص ٤٣ ـ ٤٥، وقد أشار في هامش ص ٤٣ لمصادر ترجمته، وانظر البيتين في قطعته الغزلية ص ٤٤ من السابق.

(٤) انظر السابق ص٦٠.

(٥) انظر السابق ص ٧٨.

وقال الأمير يوسف الثالث[1]:

فبالله يا ريح الجنوب تأمّلي أيلقى سلامي من حبيبي قبول؟
وإن جلت بالحمراء فاقري تحيّتي ديار خلت مني فهن طلول
وهُبّي على القصر الكبير عليلة فإنّ به أهل الحبيب حلولُ
وقولي: غريب أتلف الحب قلبه له أنّة لا تنقضي وعويل

وفي العلاقات مع الأولاد نجد قلقاً، بل وحزناً[2]:

يا سخنة العين يا بنيا ليتك ما كنت لي بنياً

بل وحتى من المكان، فهناك من تضجر من بلدته فنجده يقول[3]:

فعارٌ على العليا سكناي بلدة كبلدة عالي الأفق من دون أنجم
فلو أن غيلانا حوته ديارها تغنّى بميّ بينهم غير معجم

والشاعر هنا قد تضجر من بلدته لكنه قد يجد راحة في مكان آخر، إلا أن هناك من تضجر من كل بلاد الأندلس مثل (ابن رشيق القيرواني) الذي قال[4]:

---

(١) هو الناصر لدين الله يوسف بن المستغني بالله بن الغني بالله (٧٧٨ ـ ٨٢٠ هـ). انظر ما كتب عنه في السابق ص ٢٠٦ ـ ٢٠٨ وقد أشار لمصادر وترجمة، ص ٢٠٧، وانظر الأبيات ص ٢١٣ من السابق.

(٢) القائل هو: أبو بكر محمد بن الملح. انظر المغرب...، ج ١، ص ٣٨٤.

(٣) القائل هو: ابن عبد ربه. انظر ديوان، ، ص ١٨٥.

(٤) القائل هو: ابن رشيق القيرواني. انظر: النفح ج ١، ٢١٣ ـ ٢١٤، وقد ورد هذان البيتان في النفح ج ٤، ص ٢٥٥ إلا أن كلمة (تلقيب) قد غيرت إلى (أسماء)، وكان صاحب (النفح) قد وصف صاحب البيتين في أثناء رده عليه «بالكلب العقور». انظر الجزء الرابع من المصدر السابق نفس الصفحة المشار إليها ونفس المعنى قد قاله (ابن عمار)، أبو بكر محمد بن عمار (٤٢٢ ـ ٤٧٧ هـ):

مما يقبِّح عندي ذكر أندلس سماع معتضد فيها ومعتمد
أسماء مملكة في غير موضعها كالهر يحكي انتفاخاً صولة الأسد

انظر: وفيات الأعيان...، ج ٤، ص ٤٢٥ ـ ٤٢٨.

مما يزهّدني في أرض أندلس تلقيب معتضد فيها ومعتمد
ألقاب مملكة في غير موضعها كالهر يحكي انتفاخاً صولة الأسد

وإذا كان الأندلسي قد تضجر من مكانه أو أرضه، فإنه قد تضجر من بعض الظروف التي أحاطت به كالفقر مثلاً، يقول أحدهم[1]:

ألا فأذنوا لي بالسَّراح فإنه نهاية مطلوبي وفيه عذابُ
فإني قد خَلَّفت في أُفق موطني فراخاً هواهم ليس عنه مناب

أو الغربة القسرية التي فرضت عليه بسبب العدو أو الفتن الداخلية[2]:

أنا في الغربة أبكي ما بكت عين غريب

ومن الشعراء من «لَخص محنته»[3] بقوله في الغربة[4]:

يا أحبائي اسمعوا بعض الذي يتلقاه الطريد المغترب
وليكن زجراً لكم عن غربة يرجع الرأس لديها كالذنب
ولئن قاسيت ما قاسيته فبما أبصر لحظي من عجب

وهناك غربة طوعية من أجل العلم، ولكنه يشعر فيها بقلق الغربة والبعد عن الأهل والأحبة[5]:

مضت لي شهور منذ غبتم ثلاثة وما خلتني أبقى ـ إذا غبتم ـ شهرا

---

(١) القائل هو: القاضي مختار بن عبد الرحمن الرعيني. انظر: المغرب ج ٢، ص ٢٠٧.
(٢) القائل هو: أبو المعالي الإشبيلي، انظر النفح ج ٤ ص ١١٣ ـ ١١٤.
(٣) من: الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة ٩٢ ـ ٨٩٧ هـ، ص ٣٣٥.
(٤) القائل: هو أبو بكر محمد بن قاسم أشكهباط، انظر: المغرب ج ٢، ص ٣١.
(٥) القائل هو: أبو الوليد عبد الله محمد المعروف بابن الفرضي. انظر ما كتب عنه في الذخيرة ق ١، م٢، ص ٦١٤ وقد أشار المحقق في هامش هذه الصفحة.. لمصادر ترجمة القاضي الشاعر (ابن الفرضي)، أما الأبيات فهي من مقطوعة في السابق، ص ٦١٥ ـ ٦١٦.

ويقول: سأستعب الدهر المفرِّق بيننا وهل نافعي أن صرت استعتب الدهرا
أعلل نفسي بالمنى في لقائكم واستسهل البرَّ الذي جبت والبحرا

على أن الغربة مهما تنوعت عند الأندلسي، إلا أنها قد كانت قلقاً آخر إضافة لما كان يشعر به من هم وحزن قبلها مما جعل أحدهم يقول ناصحاً بتحمل الظروف مهما كانت، فالغربة أسوأ بكثير من كل ما يلقاه الإنسان في وطنه من هموم أخرى[1]:

لا تغترب عن وطن واذكر تصاريف النوى
أما ترى الغصن إذا ما فارق الأصل ذوى؟

ولعل في ذلك دلالة على الوفاء من قبل المفكر لبلاده حتى وهو في أسوأ الظروف، قال الشاعر[2]:

أهيم بهم في كل واد صبابة وأزداد مع طول البعاد لهم ودّا

وقال (ابن الخطيب) مبيناً حُبَّه لوطنه بعد بعده عنه: «مُزِّق شملي وفُرِّق بيني وبين أهلي، وتعدى عليَّ وصُرفت وجوه المكايد إليَّ حتى أُخرجت من وطني وبلدي ومالي وولدي ومحل جهادي وحقي الذي صار لي طوعاً عن آبائي وأجدادي... وأنا قرعت باب الله بتأميلك، فالتمس لي قبوله بقبولك وردّني إلى وطني على أفضل حال...»[3].

إن الأندلسي في بعده عن وطنه قد بكى في عاطفة مشبوبة آلام

---

(١) القائل هو: أبو الحسين محمد بن أحمد بن حبير. انظر البيتين وما كتب عن صاحبها في النفح ج ٢، ص ٣٨١ ـ ٣٨٢.

(٢) انظر السابق، ج ٤، ص ١٣٩.

(٣) من كتاب: الفلسفة والأخلاق عند ابن الخطيب، ص ٧٠، وابن الخطيب هو القائل:
وطن قد قضيت فيه شباباً لم تدنس منها البرود مذمة
بنت عنه والنفس من أجل من قد خلفته خلاله مغتمة
انظر السابق ص ٧١.

الفراق[1]، وقد ظهر لنا ذلك فيما خَلَّفه لنا من فكر بين شعر ونثر أظهر لنا فيه ذكرياته عن بلده الذي حوى المال والأهل والولد إن كان قد بقى منه شيء مع توالي الفتن وتكالب الأعداء.

إننا لو تتبعنا ما قاله المفكر الأندلسي حول علله الذاتية[2] لطال بنا السفر وتراكمت علينا الأوراق ولتحول البحث إلى إعادة المكرور الذي حوته بطون الكتب بين مصادر ومراجع، وكان بإمكاننا ذلك، فما أسهل النقولات، إلا أن النفس تنفر في واقعها من تكرار الشيء الموجود، ولهذا فقد كفتنا البحوث والدراسات التي صدرت وتصدر تباعاً عن الفكر والمفكر الأندلسي ذلك النقل، ولهذا فما على الدارس إلا العودة إليها، فهي في متناول اليد[3].

---

(١) انظر: الشعر العربي في إسبانيا وصقلية، ص ١٠٤.

(٢) بإمكاننا أن نقول أن تلك العلل الذاتية التي أشرنا لبعضها، وبعضها لم نشر إليه كلها تندرج تحت عنوان (الشكوى من الوضع) وقد تمثلت في: (ماله علاقة بالأرض وبالمنزل وبالأولاد وبالهجران وبالكسل وبالخمول بعد الشهرة وبالحسد وبالفراق وبالحنين وبالغربة.. إلى آخر ذلك مما يتعلق بذات الإنسان.

(٣) انظر مثلاً جذوة المقتبس: ص ١٦٥، ٢١٦، ٢٩١، ٣١٠، والصلة... ص ١٩٧ ـ ١٩٨، ٢٥٥، والذخيرة في معظم صفحاته، ونفح الطيب... ج ١ الصفحات ٢٧٥، ٣٠٤، ٤١٨، ٤٤٥، ٥٠١، ٥٢٣، ٥٢٥، ٥٢٧، ٥٧٣، ٥٨٩، ٦٦١، وانظر السابق، ج ٢، الصحفات ٢٣، ٣٤، ٨٥، ٨٦، ٧٥، ٨١، ٨٢، ٩٣، ٩٥، ١٠٩، ١١٢، ١١٦، ١٣١، ١٤٢، ١٣٩، ٢٣٥، ٢٥٩، ٢٨١، ٤٩٠، ٥٣٨، ٦٣٨، ٦٤١، ٦٩٥، انظر السابق ج ٣، ص٣٨، ٥٨، ١٥٢، ١٥٣، ١٨٨، ١٩٤، ٢٣٠، ٢٤٣، ٢٨٨، ٢٩٣، ٢٥٩، ٣٦٠ ـ ٣٦١، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٨، ٣٧٠، ٣٧٢، ٣٧٨، ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩١، ٤٠٠، ٤٠٨، ٤٢٤، ٤٣٢، ٤٣٤، ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٥١ ـ ٤٥٢، ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨٣، ٤٩١ ـ ٤٩٣.
وانظر السابق. ج ٤، الصفحات ٧٦ ـ ٩٦، ٩٨، ١٣٩، ١٦٧، ٢١٤، ٢٢١، ٢٢٤، ٢٥٠ ـ ٢٥١، ٢٥٦، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٧، ٢٨٤، ٢٩٤، ٣١٦، ٣١٧، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٣١، ٣٥٣، ٣٦٣، ٣٨٠، ٣٨٩، ٣٩٧، ٤٠٧، ٤١٨، ٤٣٨، =

. . . . . .

= ٤٤٠، ٤٤٤، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٥١ ـ ٤٥٥، ٤٥٧، ٤٦٧، ٤٧٦، ٤٧٨ ـ ٤٧٩، ٥١٠، ٥٢٩، ٥٤١، ٥٥٠.

وانظر: ديوان (ابن عبدون) الصفحات ١٣٩، ١٦٢، ١٧١، ١٧٥، ١٥٨ ـ ١٨٦، ١٩٦، ٢١٠.

وديوان (الرصافي البلنسي)، ص ٢٥، ٣١، ٣٩، ٥٢، ٦٠، ٩٢ ـ ٩٣.

وديوان (ابن الزقاق البلنسي) ص ٩٩، ١٠٦، ١٥٠، ١٤٢، ٢٠٥، ٢٤٢، ٢٧١، ٢٧٦، وكذا ١٧٠، ٢٦٥.

وديوان (ابن سهل بتقحيق يُسرى عبد الله) الصفحات ١٨، ٣٥، ٣٨، ٢٧٩، ٣٠١.

وديوان (ابن حزم) الصفحات ٤٦ ـ ٤٧، ٥٩، ٧٠ ـ ٧١، ٧٧، ٨٨، ١٠٩.

وديوان (ابن زيدون) الصفحات ٩، ١٤، ٢١، ٢٩، ٣٧، ٦٣، ٧٣، ٨٤، ١٢٣، ١٧٥، ١٨٨، ١٩٤.

وديوان (ابن عبد ربه) ص ٢٦، ٦٢، ٧٢، ١٣٤، ١٨٦، ١٨٩.

و (البسطي)، ص ٣٠، ١٩٦.

وديوان (ابن شرف القيرواني) ٢٣، ٣٨، ٤٢، ٥٤، ٦١، ٦٤، ٨٦، ١٠٥.

وديوان (الصيب والجهام) ص ٢٥٦، ٢٥٧.

وديوان (ابن خاتمة) ص ٧٣، ١٢٧، ١٨٩.

وديوان (الألبيري) ص ٣٧، ٤٠.

وانظر ديوان المعتمد فمعظم صفحاته قد حوت حديثاً عن العلل التي تعرض لها سواء في مملكته أم في منفاه وسجنه..

وانظر: المختار من شعر شعراء الأندلس، ص ٢١ ـ ٢٤، ٣٨، ٤١، ٤٦.

وانظر: الموشح الأندلسي، ص ١٨١.

وانظر: الأعمى التطيلي: حياته وأدبه، ٩١..... وأكثر الصفحات قد تحدث فيها الشاعر عن علته، وما تعرض له من الألم.

وانظر: ابن حمد يس شاعراً، ص ١٥٤.

وانظر: الموشحات والأزجال الأندلسية في عصر الموحدين، ص ١٢٥.

وانظر: حول الأدب الأندلسي، ص ٨٢.

وانظر: مختارات من الشعر المغربي والأندلسي، الصفحات ١٦٧، ١٧٣، ٢١١.

وانظر: الشعر النسوي في الأندلس، ص ٤١، ٤٧، ٥٢، ٦٣، ٦٥، ٨٢، ١٠١، ١٠٢، ١١٤، ١١٨، ١٢٥، ١٣٠.

وانظر: المختار من الشعر الأندلسي، الصحفات ٢٤، ٢٩، ٣٤، ٤٤، ٥٦، ٦٠ ـ =

ولوضوح تلك العلل في فكر أهل الأندلس، فإن في ذلك دلالة على أن الشخصية الأندلسية قد طُبعت على وجه العموم «بطابع القلق والاضطراب وعدم الاستقرار نتيجة لقسوة الحياة، وتنازع الطوائف وشيوع الفتن وكثرة الحروب...»[1]، ولهذا فإن الأندلسي «لا يبالغ في الاستمتاع بالسعادة قمتها، لا في الحب ولا في العلاقات اليومية مع أترابه»[2]، الأمر الذي جعل السعادة أشبه بشيء عابر لا يتمتع بها الأندلسي إلا ويأتيه أمر يقلقه ويجعله ينفر من سعادته مما جعل أحد الباحثين يقول عن الأمير عبد الله آخر ملوك بني زيزي في غرناطة أنه قد كان غارقاً في القلق والسوداء، بل إن ذلك الباحث يقول إن الأمير هو الذي أَقرَّ بذلك في مذكراته[3]، فإذا كان هذا

= ٦١، ٧٣ ـ ٧٤، ٩٠ ـ ٩١، ٩٨، ١٠٤، ١١٣، ١٢٦، ١٥٢، ٢٠٠، ٢٠٨، ٢١٢، ٢٢٢.

وانظر: تأريخ الأدب الأندلسي (عصر سيادة قرطبة) ص ١١٦، و (عصر الطوائف والمرابطين)، ص ١٧٧.

وانظر: الشعر العربي في إسبانيا وصقلية، ص ١٠٤، ١٠٥.

وانظر: الدراسات التالية فقد حوت الكثير من النماذج لما نحن بصدده:

أ ـ المكتبة الأندلسية التي حققها إبراهيم الإبياري.

ب ـ قضية السجن والحرية في الشعر الأندلسي.

ج ـ سلسلة كتب محمد عبد الله عنان في التأريخ الأندلسي.

د ـ الأسر والسجن في شعر العرب.

هـ ـ البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر ـ عصر ملوك الطوائف.

و ـ اتجاهات الشعر الأندلسي إلى نهاية القرن الثالث الهجري... إلى غير ذلك من الدراسات الحديثة التي صدرت وما زالت تصدر تباعاً في المشرق والمغرب على حد سواء، ولعل آخرها ـ في نظري على أقل تقدير ـ كتاب «الغربة والحنين في الشعر الأندلسي» الصادر عن كلية الآداب في الرباط.

(١) من البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر ـ عصر ملوك الطوائف، ص ٥٧.

(٢) من الشعر الأندلسي في عصر الطوائف، ملامحه العامة...، ص ٤٠٢.

(٣) انظر: السابق، هامش ص ٤٠٢.

خاصاً بالأمير، فكيف بعامة الشعب؟ فهم الذين يتعرضون للحيف والظلم والتشريد الأمر الذي جعل المفكر الأندلسي ينقل شيئاً من ذلك في فكره ليعبر عن تلاحمه مع من حوله فيكون بمثابة المرآة العاكسة لما حوله هو وأدبه، فكلاهما قد أصبحا عملة واحدة، وقد تعكس تلك المرآة ما يتعرض له هذا المفكر أو ذاك كجزء من مجتمع، يقول (ابن حزم)[1]:

هل الدهر إلا ما عرفنا وأدركنا ... فجائعه تبقى ولذّاته تفنى
إذا مكنت فيه مسرّة ساعةٍ ... تولّت كمر الطرف واستخلفت حزناً
إلى تبعات في المعاد وموقفٍ ... نودّ إليه أننا لم نكن كُنّا
حصلنا على هم وإثم وحسرة ... وفات الذي كنا نلذ به عَنَّا
حنين لما ولّى، وشغلٌ بما أتى ... وهمٌ بها يشغى، فعينك لا تهنا
كأن الذي كُنَّا نسر بكونه ... إذا حققته النفس لفظٌ بلا معنى

وابن حزم نفسه هو من أولئك الذين اتجهوا للتراجم الذاتية إذ وجد فيها متنفساً للتعبير عن دواخل نفسه، كما وجد فيها «شعوراً بجمال الماضي، وتغير الحاضر وتقلّب الأحوال...»[2].

وإذا كان ذلك رأي (ابن حزم) عن تقلب الأحوال، فإن (ابن خفاجة) له نفس الرأي، إذ نجده يقول[3]:

لا العصايا ولا الرّزايا بواقٍ؛ ... كلُّ شيءٍ إلى بلى ودُثُور

---

(١) انظر: الديوان، ص ٩٨، وفي المطمح «أنكرنا» بدلاً من «أدركنا» انظر: ص ٢٨١، وأيضاً في الشعر الأندلسي في عصر الطوائف، ملامحه العامة...، ص ٤٠٣، ٤٠٤.

(٢) من تاريخ الأدب الأندلس (عصر سيادة قرطبة)، ص ١٤١.

(٣) انظر: ديوان ابن خفاجة، ص ٤٢١.

فـالـهُ عـن حـالتـي سـرور وحـزنٍ فـإلـى غـايـةٍ مجـاري الأمُـور
وإذا مـا انقضـت صـروفُ الليـالـي فسـواءٌ ليـلا الأسـى والسّـرور

ولتوالي العلل على أهل الأندلس، فإن الإنسان بدأ يشعر بخوف داخلي من الضياع[1]، وقد انعكس ذلك على فكر الإنسان[2]:

يا أهل أندلس رُدوا المعار فما فـي العُـرف عـاريـةٌ إلا مـرداتُ
ألـم تـروا بيـدق الكفـار فـرزنـه وشـاهُنـا آخـر الأبيـات شهمـاتُ

وكان ذلك الخوف قد وصل غايته عند المعتمد بن عباد وذلك لمرارة ما حل به، يقول[3]:

أليـس المـوت أروح مـن حيـاة يطـول علـى الشقـي بهـا الشقـاء

ولتوالي العلل على أهل الأندلس فإنهم بين شخصين:

* شخص قد شعر بما هو فيه، بل وعانى من علله، واستسلم، يقول الشاعر[4]:

الحمـد لله علـى مـا قضـى فكـل مـا قضـى عليـه الـرضـا

* وشخص ما زال غير مصدق، فقد تملكته الحيرة والاضطراب، ولكن لتوالي العلل بدأ يفيق ويصدق ما هو فيه وعندئذ ينطبق عليه قول الوشاح الأندلسي[5]:

---

(١) انظر ما كتبه الدكتور إحسان عباس في كتابه (تأريخ النقد الأدبي عند العرب) عن فترة الخوف من الضياع وأثرها على الشعر والنقد، ص ٤٩٤.

(٢) انظر النفح...، ج ٤، ص ٣٥٢.

(٣) انظر: الأدب الأندلسي: التطور والتجديد، ص ٣٣٠.

(٤) الشاعر: حبيب بن أحمد الشطجيري من أهل قرطبة، انظر ما كتب عنه وانظر أبياته التي منها البيت المذكور في المتن في كتاب «جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس» ص ٣١٠، وانظر ما قاله أبو عمر اليحصبي حول نفس المعنى في: النفح، ج ٣، ص ٢٢٦.

(٥) الوشاح، هو أبو بكر يحيى بن عبد الرحيم بن بقي من وادي آش، انظر ما كتب عنه =

قـــــد بلينـــــا وابتلينـــــا واش تقـــول النـــاس فينـــا
قـــم بنـــا يـــا نـــور عينـــي نجعـــــل الشـــــك يقينـــــا

ولأن علل أهل الأندلس الذاتية كثيرة البعض منها «يذيب الأكباد»[1]، فإنني اكتفي بتلك الإشارات التي أشرت إليها سابقاً، فقد حوت المصادر والمراجع الشيء الكثير منها، وكنت قد أشرت إلى ذلك في بعض الهوامش.

= في (الموشح الأندلسي)، ص ٢١٦ ـ ٢١٧ وقد أشار لمصادر ترجمته. وانظر موشحته في ديوان الموشحات الأندلسية، المجلد الأول، ص ٤٢٩ ـ ٤٣١، وانظر البيتين في الموشحات والأزجال الأندلسية في عصر الموحدين، ص ١٢٥.

(١) من النفح...، ج ٤، ص ٢٨٥ وقد قال هذا القول عندما تحدَّث عن أخبار المعتمد بن عباد وأخبار بناته وزوجه بعد الأسر وضياع الملك.

ثانياً: العلل الاجتماعية

بالرغم من كثرة العلل الذاتية التي أحاطت بالمفكر الأندلسي، إلا أنه لم ينس مجتمعه، فقد تأثر بماحصل ويحصل لبلاده من مضايقة الأعداء بل مهاجمتهم لها، ومضايقة أهلها بين الفينة والأخرى، وفوق ذلك ما يحصل فيها من فتن داخلية «لم يعدم فيها حيف، ولا فورق فيها خوف، ولا تم سرور، ولا فقد محذور، مع تغير السيرة، وخرق الهيبة، واشتعال الفتنة، واعتلاء المعصية، وطعن الأمن، وحلول المخافة. . .»[1]، وسواء أكانت تلك الفتن داخلية أم خارجية، فقد فقدت الأندلس على أثرها الكثير من الفقهاء[2] والعلماء[3]، فقتِّلوا أو تفرَّقوا، ومن بقي منهم أصيب هو وعامة الناس برعب وخوف شديدين[4]، كما تأثر أيضاً بما قد حصل أو يحصل لأهل بلاده من معاناة للجوع والعطش والخوف وعدم الأمن.

ونتيجة لما حصل للأندلس وأهلها، فقدت شعر المفكر بمسؤوليته،

---

(١) من الذخيرة. . . ، ق ١، م ١، ص ٣٦، والحديث هذا عن الفتنة البربرية.

(٢) انظر: كمثال على ذلك: النفح. . . ، ج ١، ص ٣٤٤، وانظر: عصر سيادة قرطبة، ص ١٣٧.

(٣) انظر ما كتبه الدكتور: إحسان عباس في كتابه السابق عصر سيادة قرطبة ص ـ ١٣٧.

(٤) انظر السابق، ص ١٣٧، وقد أشار لمصادره في هامش الصفحة السابقة، وانظر ما كتبه الدكتور محمد عنان حول نفس الموضوع من مثل كتابة (دولة الإسلام في الأندلس) ج ٢، ص ٤١٨، ٤٢١.

فكان أدبه صدى لتلك النكبات الكبرى[1]، أو هو صدى لمعظمها وذلك منذ قيام الدولة الإسلامية إلى نهايتها، فقد سجل في أدبه قضايا العصر[2] التي من أهمها:

١ ـ القضايا والهموم الداخلية.

٢ ـ سقوط المدن والممالك الأندلسية.

٣ ـ الضعف المتمكن من الناس، ومن ثم الاستصراخ وطلب العون من الآخرين.

إننا لو بحثنا عن تلك القضايا التي تناولها المفكر الأندلسي في أدبه لوجدنا أن الدافع الأساس الذي دفعه لتناولها كان متمثلاً في عاطفة حب الوطن «وقد تجلت في أروع صورها»[3] في شعر رثاء المدن والممالك، كما تجلت في تلك العاطفة الحزينة الباكية الناقمة أحياناً في بقية ما حاول تصويره من أمور أخرى كانت تمثل عللاً داخلية في نفس هذا الأديب أو ذاك.

وإذا كان المفكر الأندلسي قد عبر عن تلك الأوضاع التي أحاطت به وببلاده ومن سكن فيها عبر أدب اتسم بالبساطة في القول والوضوح والتفاعل مع الحدث، فإن ذلك قد جاء من واقع صدقه وتفاعله مع مجتمع شعر بأنَّاتٍ وويلاتٍ لازمته قروناً طويلة أدت في النهاية إلى نهايته[4]:

أيا أسفي على عدم الهجوع وفقدان الأحبة والربوع

---

(١) انظر تأريخ الأدب الأندلسي ـ عصر الطوائف والمرابطين ـ ص ١٧٧.

(٢) هناك كتاب يحمل عنوان «قضايا العصر في أدب أبي العلاء المعري» من تأليف د. عبد القادر زيدان، وهي قضايا لا تتعلق بما نحن بصدده، فهنا نعالج أدب أمَّة، بينما ذاك يعالج أدب فرد من المشرق.

(٣) من رؤية جديدة لشعرنا القديم...، ص ٥٦.

(٤) القائل هنا (ابن حمد يس الصقلي)، انظر: الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة ٩٢ ـ ٨٩٧ هـ، ص ٣٢٣.

يشـق عليّ عـن أهلـي نـزوحـي ويغلبنـي إلـى وطنـي نـزوعـي
فكـم أبكـي الـديـار وسـاكنيهـا بطـرف مسعـدٍ ودمٍ همـوع

وقال آخر[1]:

قلـت يـومـاً لـدار قـوم تفـانـوا: أيـن سُكَّـانـك العـزاز علينـا؟
فـأجـابـت: هنـا أقـامـوا قليـلاً، ثـم سـاروا ولسـت أعلـم أينـا؟

أقول إذا كان المفكر الأندلسي قد شكا في أدبه ما حل ببلاده وأهلها، فإن ذلك قد جاء من قبيل التفاعل مع ما حوله، فإذا كانت البيئة الأندلسية قد أسهمت في تكوين شخصية المفكر وذلك بما غرست فيها من إحساس بالجمال وميل للأدب[2]، فإنها أيضاً قد غرست فيها روح التفاعل مع الأحداث المحيطة، تلك التي مثّلت هما حقيقياً عانى منه كما عانت منه أمته في تلك الجزيرة (المنكوبة) أو (الجزيرة المهتضمة)[3] التي كان لأهلها «بين زمان الفتح وما بعده وقائع في الكفّار شفت الصدور من أمراضها، ووفت النفوس بأغراضها، واستولت على ما كان لملّة الكفر من جواهرها وأعراضها، ثم وقع الاختلاف بعد ذلك الأئتلاف، فعصفت ريح العدوّ والحروب سجال وأعيى العلاج حكماء الرجال، فصار أهل الأندلس يتذكرون موسى وطارقاً ومن بعدهما من ملوك الأندلس الذين راعت العدوَّ الكافر منهم طوارق...[4]».

ألا أيها القلب المصرَّح بالوجد أمالك من بادىء الصبَّابة من بُدِّ

---

(١) وقد نسبا إلى الوزير جهور بن محمد بن جهور، انظر مطمح الأنفس ص ١٨٦، إلا أن المحقق قد كتب في هامش الصفحة المذكورة ما دار حول البيتين من خلاف في نسبتهما.

(٢) انظر: اتجاهات الشعر الأندلسي إلى نهاية القرن الثالث الهجري، ص ١٣.

(٣) وهكذا سماها (ابن بسام) في ذخيرته، انظر مثلاً: ق ٣، م ١، ص ١٠.

(٤) من النفح...، ج ١، ص ٣٠٤ ـ ٣٠٥، والأبيات في ص ٣٠٥ وقائلها: ابن عميرة (أحمد بن عبد الله المخزومي).

وهـل مـن سُلُـوّ يـرتجـى لمتيَّـمٍ له لوعة الصادي وروعة ذي الصَّدِّ
يحنُّ إلى نجد، وهيهات حرَّمتْ صروف الليالي أن يعود إلى نجد

إن تلك القضايا كانت تمثل عللاً داخلية في نفس المفكر الأندلسي والتي لم يجد بداً من التعبير عنها بواسطة فكره وأدبه، ذلك الذي نجد فيه صوراً للقضايا الآتية، والتي تمثل في نظرنا أهم قضايا العصر:

١ ـ القضايا الداخلية:

لقد كثرت الهموم الداخلية، تلك التي عانى منها المفكر الأندلسي سواء أكان شاعراً أم ناثراً، ولذلك نجده قد سجل تلك الهموم عبر فكره، إلا أن المؤرخ قد كان أكثر تعايشاً مع الواقع وأحداثه، ذلك لأن تاريخه يقوم أساساً على تسجيل الحدث، ومع ذلك فقد حاول أن يلبس هذا الحدث أو ذاك ثوباً أدبياً.

إننا لو قرأنا تاريخ (ابن حيان)[١] مثلاً، أو المعجب في تلخيص أخبار المغرب (للمراكشي)[٢]، أو البيان المغرب (للمراكشي)[٣]، أو المن بالإمامة

---

(١) المقصود بتاريخ (ابن حيان) كتابه النفيس «المقتبس من أنباء أهل الأندلس» بتحقيق الدكتور محمود مكي، أو المقتبس في أخبار بلد الأندلس وقد حقق هذا الجزء الدكتور عبد الرحمن الحجي، أو (المقتبس) بتحقيق شالميتا، أما (ابن حيان) فهو «أبو مروان حيان بن خلف بن حسين بن حيان بن محمد بن حيان... من أهل قرطبة ت ٤٦٩ هـ مؤرخ أديب»، انظر ما كتبه عنه الدكتور محمود مكي في مقدمة تحقيقه للجزء الذي حققه، وانظر الذخيرة...، ق ١، م ٢، ص ٥٧٣ وما بعدها وقد أشار محقق الذخيرة في هامش الصفحة المذكورة لمصادر ترجمته، وانظر: وفيات الأعيان..، ج ٢، ص ٢١٨ ـ ٢١٩.

(٢) عبد الواحد بن علي المراكشي، يلقب بمحيي الدين (٥٨١ ـ ...) انظر ما كتب عنه في مقدمة كتابه المذكور بقلم محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي.

(٣) ابن عذارى المراكشي، محمد أو أحمد بن محمد المراكشي، أبو عبد الله المعروف بابن عذارى ت نحوه ٦٩٥ هـ. انظر ما كتبه عنه في الأعلام، ج ٧. ص ٩٥.

(لابن صاحب الصلاة)[1] أو النفح (للمقري)[2] لوجدنا أنها قد حوت الكثير من الأحاديث التي دارت حول الأحداث الداخلية وهي أحاديث مدعمة بأقوال أدباء ومفكرين من الأندلس، يأتي بها المؤرخ للدلالة على صدقة، وأن تأريخه لا يقوم على مسايرة الحدث حسب، بل يحوي نظرات شاملة لكل ما يدور حوله مع القاء بعض الضوء على حياة الشعب العامة والخاصة[3].

ولأن ما حوته تلك المصادر يعد شافياً، فلسنا في حاجة لتكرار ما قد تم الحديث عنه، كما أن الكتب الحديثة قد تحدثت هي أيضاً عن تلك الأحداث فكانت مكملة لما حوته المصادر من تسجيل لكل حدث وقع على مسرح الأندلس أرضاً وناساً[4]:

لمصاب أندلس تصوب الأدمع ولما جرى فيه تذوب الأضلع[5]

---

(١) ابن صاحب الصلاة، هو عبد الملك بن محمد بن أحمد، يعرف بابن صاحب الصلاة ٥٥٧ ـ ٥٩٤ هـ، انظر ما كتبه عنه محقق كتابه المذكور في المتن، والمحقق هو عبد الهادي التازي، انظر الصفحات من ١٤ ـ ٢٥.

(٢) المقري، هو الشيخ أحمد بن محمد المقري التلمساني، يلقب بشهاب الدين ٩٨٦ ـ ١٠٤١ هـ.
انظر: التعريف به بقلم الدكتور إحسان عباس في نفح الطيب، ج ١، ص ٥ وما بعدها.

(٣) انظر: التمهيد الذي خطه قلم الدكتور محمود علي مكي في الجزء الذي حققه من المقتبس، ص ٨٧.

(٤) انظر مثلاً: دولة الإسلام في الأندلس ج ١ و ج ٢، ودول الطوائف، وعصر المرابطين والموحدين (١، ٢) ونهاية الأندلس وكلها من تأليف الدكتور محمد عبد الله عنان، وانظر ما كتبه الدكتور إحسان عباس في كتابيه (عصر سيادة قرطبة) و (عصر الطوائف والمرابطين)، وغيرهما كثير من الباحثين أمثال الدكتور يوسف عيد في كتابه (أصوات الهزيمة في الشعر الأندلسي).

(٥) انظر هذه المرثية في: البسطي آخر شعراء الأندلس، ص ١٧٢، وانظر أيضاً الشعر الأندلسي في القرن التاسع الهجري ـ موضوعاته وخصائصه، ص ٢١٩، والقائل هو =

وقال آخر[1]:

وقد أظلمت أرجاؤها وتزلزلت منازلها ذات العلا وقصورها

إن المفكر الأندلسي بشكل عام قد تحدث في فكره عن مجموعة أمور داخلية ارتبطت بالأرض وبالناس مثل الحديث عن الفقر والمجاعة والقحط والغرق من السيول[2]، والفتن الداخلية كفتنة (هيج الربض) و (الفتنة البربرية)، وأيضاً عن الإضطراب السياسي في عهد ملوك الطوائف، كما تحدثوا عن تكالب العدو على الأندلس أرضاً وناساً وما أصاب الناس من الحيرة والقلق والاضطراب، الأمر الذي دفعهم للقول بنقد الحكام والمجتمع على حد سواء مما أدى إلى ظهور ظاهرة من الممكن أن نطلق عليها «النقمة على المجتمع» بكل ما تحمله كلمة (النقمة) من معان عديدة، وذلك لأن الهجاء في الأندلس اتجه للنقد الاجتماعي ففيه «تشاؤم وسخط على الحياة والمجتمع والناس جميعاً. . .»[3].

قال أحدهم ناقداً الوضع أيام الفتنة البربرية: «ومن أعجب ما رأيت من عبر الدنيا أنه تم من نصف نهار يوم الثلاثاء لأربع عشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة المؤرخ إلى نصف نهار يوم الأربعاء تتمة الشهر وفي مثل ساعته فتح مدينة قرطبة وهدم مدينة الزاهرة وخلع خليفة قديم الولاية وهو هشام بن الحكم ونصب خليفة لم يتقدم له عهد ولا وقع عليه اختيار، وهو

= الشاعر عبد الكريم بن محمد القيسي الغرناطي، انظر ما كتب عنه في: البسطي آخر شعراء الأندلس ص ٩ ـ وما بعدها.

(١) القائل مجهول، انظر المرثية كاملة في الشعر الأندلسي في القرن التاسع الهجري. . . ، ص ٢٠٢ وما بعدها.

(٢) انظر مثلاً: المقتبس بتحقيق مكي، ص ١، ص ٥ وانظر: النفح، ج ١، ص ٣٤١، وج ٢ ص ٤٢٣.
وانظر المختار من الشعر الأندلسي، ص ٢٠٨.

(٣) من الهجاء في الأدب الأندلسي، ص ١٦٣.

محمد بن هشام بن عبد الجبار، وزوال دولة آل عامر، وكرور دولة بني أمية، وإقامة جنود من العامة المحشودة عورض بها أجناد السلطان أهل الدربة والتجربة، ونكوب وزراء جلّة ونصب أضدادهم، تقتحمهم العين هجنة وقماءة وجرى هذا كله على يدي بضعة عشر رجلاً من أراذل العامة، حجامين وخرّازين وكنّافين وزبّالين تجاسروا عليه، وقد، تكفّل المقدور بوقوعه فتم منه ما لم يكن في حسبان مخلوق تمامه، فسبحان من هو على كل شيء قدير...»[1]، وكان (ابن حيان) المؤرخ قد قال منتقداً المستظهر: «سلطان فقير لا يقع بيده درهم إلاّ من صبابة، مستغل جوف المدينة، أو نهب مفلول ممن تقلقل عنها، يُقيم منه رمقه، ويفرق جملته على من تكنفه من جنده ودائرته، ويتطرق إلى ما يقبح من ظلم رعيته، فلم يلبث الأمر أن تفرّى به فسفك دمه، وانحسم الأمل من دولته...»[2]، وابن عبد ربه) قد قال ساخطاً على الأوضاع المعاشة في عصره، مبدياً التشاؤم فهو يرى أن الخير قد انعدم في الدنيا[3]:

وأيام خلت من كل خير ودنيا قد توزعها كلاب

و (السميسر)[4] قد قال في وجوب تحاشي الناس واجتنابهم[5]:

تحفظ من ثيابك ثم صنها وإلا سوف تلبسها حدادا
وميّز عن زمانك كلَّ حين ونأفر أهله تسد العبادا

---

(١) من البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج ٣، ص ٧٤.
(٢) من الذخيرة...، ق ١، م ١، ص ٥١ ـ ٥٢.
(٣) انظر: الهجاء في الأدب الأندلسي، ص ١٦٤ وقد أشار في هامشه لمصادره.
(٤) الأديب: أبو القاسم خلف بن فرج الإلبيري، يعرف بالسميسر انظر ما كتب عنه في الذخيرة، ق ١، م ٢ ص ٨٨٢ وما بعدها، وانظر ما كتب عنه في المغرب، وقد أشار المحقق في هامش ص ٨٨٢ لمصادر ترجمة السميسر.
(٥) انظر: الهجاء في الأدب الأندلسي، ص ١٦٥ وانظر الأبيات في الذخيرة...، ق ١، م ٢، ص ٨٩٥

وظـنَّ بسـائـر الأجنـاس خيـراً وأمّـا جنـس آدم فـالبعـادا

وهو نفسه الذي قال عن ملوك الطوائف[1]:

نـاد الملـوك وقـل لهـم: مـاذا الـذي أحـدثتـم
أسلمتُـم الإسـلام فـي أسْـرِ العـدا، وقعـدتـم
وجـب القيـام عليكُـم إذ بـالنصـاري قمتـم
لا تنكـروا شـق العصـا فصعـا النبـيّ شققتـم

وآخر قال ناقداً المرابطين[2]:

فـي كـل مـن ربـط اللثـام دناءةٌ ولـو أنـه يعلـو علـى كيـوان
لا تطلبـن مـرابطـاً ذا عِفَّـة واطلـب شعـاع النـار فـي الغـدران

ويشارك الناثر الشاعر في هجاء المرابطين، إذ يقول أحدهم[3] ذاماً المرابطين: «أي بني اللئيمة وأعيار الهزيمة، إلام يزيفكم الناقد، ويردكم الفارس الواحد، فليت لكم بارتباط الخيول ضأناً لها حالب قاعد، لقد آن أن نوسعكم عقاباً، وألا تلوثوا على وجه نقاباً، وأن نعيدكم إلى صحرائكم، ونطهر الجزيرة من رحضائكم»[4].

---

(١) انظر الذخيرة. . . ، ق ١، م ٢، ص ٨٨٥، وانظر ما كتبه الدكتور إحسان عباس في كتابه تاريخ الأدب الأندلسي ـ عصر الطوائف والمرابطين، عن خفوت الهجاء الموجه للملوك في عصر الطوائف، ذلك لأن الأدب اتجه في عهد هم إلى ما يشبه الأدب الإقليمي، انظر ص ١٤٥.

(٢) القائل هو: أبو بكر يحيى بن سهل اليكي، انظر ما كتب عنه في: المغرب في حلى المغرب، ج ٢، ص ٢٦٦ وقد أشار المحقق في هامش الصفحة لمصادر ترجمة الشاعر، أما الأبيات فانظرها في ص ٢٦٧ ـ ٢٦٨.

(٣) القائل هو: أبو عبد الله محمد بن أبي الخصال، كاتب نبيه. انظر ما كتب عنه في المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص ١٧٣ وما بعدها.

(٤) من السابق، ص ١٧٦ وانظرها أيضاً في: الهجاء في الأدب الأندلسي، ص ٦٥ وفي الأخير انظر الصفحات من ٦٥ ـ ٦٨ فقد حوت بعض المسببات التي أدت إلى=

وإذا كان الشاعر والناثر قد نقما على بعض الحكام، فإنهما لم ينسيا مجتمعهما وزمانهما، نجد أحدهما[1] يقول عن الناس في عصره: «. . . إن أبرمت حبلاً من الإخاء نقض المفسدون مريرته، أو ملأت يديَّ بمن أعتد به للشدَّة والرخاء أفسد الواشون سريرته. . .»[2]:

وقال الشاعر (ابن الخطيب) عن أهل زمانه[3]:

أحـــيّ بيـــن أمـــواتٍ ركـــود ... ويقظـــانٌ لـــدى زمـــن نـــؤومِ
أدور فمـــا أرى إلاَّ نيـــامـــاً ... كـــأنـــي بيـــن أصحـــاب الـــرقيـــم
عفـــت أعـــلامُ آدابـــي وعلمـــي ... بهـــم فبقيـتُ كـــالـــرَّســـم القـــديـــم

على أن بعض الشعراء عندما يتجه لنقد مجتمعه، فإنه ينقده على أنه قد أضاع الدِّين، وأن ذنوبه هي التي أحاطت به، فكانت سبباً لما حل به وبأرضه، يقول (العسال)[4]:

لـــولا ذنـــوب المسمليـــن وانهـــم ... ركبـــوا الكبـــائـــر مـــالهـــن خفـــاء
مـــا كـــان ينصـــر للنصـــارى فـــارس ... أبـــداً عليهـــم فـــالـــذنـــوب الـــداء
فشـــرارهـــم لا يختفـــون بشـــرهـــم ... وصـــلاح منتحلـــي الصـــلاح ريـــاء

= خفوت شعر الهجاء في عصري الموحدين وملوك غرناطة، وهي أسباب لها وجاهتها.

(١) ابن التَّاكرني، أبو عامر محمد بن سعيد التاكرني، انظر الذخيرة. . . ق ٣، م ١، ص ٢٢٦ وقد أشار المحقق في هامش الصفحة السابقة لمصادر ترجمة الكاتب والوزير.

(٢) من السابق، ص ٢٢٩.

(٣) انظر: كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، ص ٢٦٣.

(٤) هو أبو محمد عبد الله بن فرج اليحصبي الملقب بالعسال، انظر المغرب في حلى المغرب ج ٢، ص ٢١، وانظر: تاريخ الأدب العربي، ج ٤، ص ٦٠٧ ـ ٧٠٧، وانظر الأبيات في الحياة الاجتماعية في الأندلس: ص ٥٧، وانظر: نفح الطيب، ج ٤، ص ٤٥٢ ـ ٤٥٤.

وهناك من ينتقدهم لأنهم تركوا الجهاد وفضلوا حياة الدعة والتنعم: «قلَّما خلوا من هيعة، عدموا الراعي العنوف منذ حقب، فنبذوا السلاح وكلِفُوا بالترقيح ونافسوا في النَّشب وعطَّلوا الجهاد، وقعدوا فوق الأرائك مقعد الجبابرة المتفاتنين من أهل موسطة الأندلس، ينتظرون من ينبعث من أهلها للقتال عنهم حسبة، ولا يرفدون المختلَّ ممن رابط إليهم بعليقه، فتباً لهم تباً!! فتضعضع ثغرهم بتوالي هذه النكبات، ولحقت المسلمين بهم مضايق يكرب سماعُها حتى عَمَّ تلك الثغور الجلاءُ، وتوزَّع المسلمين البلاءُ، وخَرِبت ديارهم وبادت آثارهم...»[1]، وعن هؤلاء قال الشاعر (ابن معلى)[2]:

لبسوا الحديد إلى الوغى ولبستم حلل الحرير عليكم ألوانا
ما كان أقبحهم وأحسنكم بها لو لم يكن ببطرنة ما كانا

إننا لو تتبعنا ما قاله المفكر الأندلسي تجاه مجتمعه وما أظهره من نقمة عليه لطال بنا المسار، ولأصبح البحث تكراراً لما قد قيل أو سجل، ولهذا، فإن الإشارة هنا تكفينا للدلالة على ما نهدف إليه، على أنه ينبغي أن نعرف أن العلل الداخلية قد تعدَّت، بل زادت على قدرة الأديب المفكر مما جعله ينفر عنها بعيداً متخذاً من الطبيعة مكاناً للهروب من واقع مرير عاشه هو وعاشه مجتمعه[3]، بل عاشته أمته كلها وأرضه التي يعيش عليها، على أن بعضهم قد أخذ يشير في فكره في بعض الأحايين إلى وجوب التجمل، يقول الشاعر[4]:

---

(١) من الذخيرة، ق ٣، م ٢، ص ٨٥٠ ـ ٨٥١ والكاتب (ابن حيان).

(٢) ابن معلى، هو الأديب أبو إسحاق إبراهيم بن معلى انظر ما كتب عنه في السابق، ص ٨٤٠، أما ما قاله من شعر فانظر هـ ص ٨٥٠.

(٣) كان الدكتور عباس قد كتب في كتابه (عصر سيادة قرطبة) عن الحياة السياسية وأنها لم تستطع أن تستغرق جميع جهود الشعر الأندلسي، بل ظل ذلك الشعر مرتبطاً بجوانب الحياة الأخرى كالطبيعة مثلاً... انظر ص ١٠٦.

(٤) انظر: النفح، ج ٤، ص ٣٣١.

إذا نـزلـت بسـاحتـك الـرزايـا فـلا تجـزع لهـا جـزع الصَّبـيِّ
فـإن لكـل نـازلـة عـزاء بمـا قـد كـان مـن فقـد النبـي

وآخر دعا للتسليم فقال[1]:

ليـس للمـرء اختيـار فـي الـذي يتمنـى مـن حـراك وسكـون
إنمـا الأمـر لـربٍ واحـدٍ إن يشـأ قـال لـه: كـن فيكـون

٢ ـ سقوط المدن والممالك الأندلسية:

وتمثل هذه القضية بالنسبة للأندلسيين علة العلل، فبسببها شعروا بالقلق والخوف، وبسببها شردوا من بلادهم، فتغرَّبوا عن أرض تربوا في أحضانها، وبسببها فقدوا الأهل والأحباب، وبسببها عمت الفوضى وكثرت الاضطرابات مما جعل المفكر الأندلسي يقف حائراً مضطرباً أمام تساقط المدن في يد الأعداء بل وزوال بعض الممالك فما كان منه إلا أن بكى في فكره كل هذا بكاءً مراً، «بكاها من يبكي على فراق وطن أحبَّه وفتن بجمال طبيعته ورخاء أيامه، فبكى (ابن اللبانة) دولة آل عباد، و (ابن عبدون) دولة بني الأفطس عندما أزالهما (ابن تاشفين)، وبكى (أبو البقاء الرندي) الأندلس بأسرها»[2]، ولأهمية هذه القضية، فإن غالبية الباحثين القديم منهم والجديد قد تطرق لها، ولذا نجد رثاء المدن والممالك منثوراً في المصادر القديمة والمراجع الحديثة[3] ولأنه كذلك فلسنا في حاجة لتكرار ما قد كتب، وتكفينا الإشارة إلى أن هذه القضية من العلل التي عانى منها الأندلسيون خاصتهم وعامتهم.

---

(١) انظر: السابق، ج ٣، ص ٢٢٦.

(٢) من كتاب (في الأدب الأندلسي)، ص ١١٤ ـ ١١٥.

(٣) من المصادر انظر مثلاً: الذخيرة في معظم أجزائها، والمغرب في حلى المغرب، والنفح...، ج ٤، ص ٤٦٦ وما بعدها (ضياع المدن الأندلسية). =

٣ ـ الاستصراخ وطلب العون:

وتعد هذه القضية نتيجة حتمية لما كان الأندلسي قد شعر ويشعر به من ضعف بلاده وما حصل ويحصل فيها.

ـ فقد تساقطت المدن واحدة بعد أخرى وإن كانت الحروب

= **ومن المراجع انظر مثلاً:** تأريخ الأدب الأندلسي ـ عصر الطوائف والمرابطي: د. إحسان عباس.
في الأدب الأندلس د. جودت الركابي، والأدب الأندلسي في عصر الموحدين. د. حكمة الأوسي، والبيئة الأندلسية وأثرها في الشعر د. سعد شلبي، وعصر الدول والإمارات (الأندلس) د. شوقي ضيف.
دراسات أندلسية د. الطاهر مكي، ورثاء المدن والممالك في الشعر العربي حتى سقوط غرناطة د. عبد الرحمن حسين.
الأدب العربي في الأندلس د. عبد العزيز عتيق، والأدب العربي في الأندلس، علي محمد سلامة.
ملامح الشعر الأندلسي د. عمر الدقاق.
أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري. فايز القيسي.
الشعر الأندلسي في عصر الموحدين. د. فوزي سعد عيسى، والشعر العربي في إسبانيا وصقلية. فون شاك.
الشعر الأندلسي في القرن التاسع الهجري قاسم الحسيني، وحول الأدب الأندلسي د. قيصر مصطفى.
أندلسيات د. محمد عبد الله عنان بالإضافة إلى كتبه عن عهدي الطوائف والمرابطين والموحدين إلى نهاية الأندلس.
الأدب الأندلسي ـ موضوعات وفنونه ـ د. مصطفى الشكعة.
الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة والإتجاه الإسلامي في الشعر الأندلسي وكلاهما للدكتور منجد مصطفى بهجت.
أصوات الهزيمة في الشعر الأندلسي، د. يوسف عيد.
النثر الأدبي الأندلسي في القرن الخامس تأليف علي بن محمد.
وإضافة إلى ما سبق لا ننسى دواوين الشعراء فهي مصدر نثر لهذه المادة.

سجالاً[1]، إلاَّ أن العدو قد استطاع اضعاف جند المسلمين في البلاد رغم مواجهتهم له في معظم الميادين.

ـ وقد سفكت الدماء وانتهكت الأعراض، ونهبت الأموال.

ـ وقد عطلت الشعائر الدينة وحولت المساجد إلى كنائس.

ـ وقد هرب الحي من الناس، بل وشُرِّد، وما عاد يعرف له موطناً، ونتيجة لذلك كان المفكر الأندلسي في حيرة من أمره، فمنهم القلق المضطرب الذي لم يعد يعرف كيف يتصرف مع هذا الوضع، فأخذ يتساءل ويسأل نفسه، وكأنه أصبح صوتاً بلا صدى[2]:

كم نكّروا من معلم، كم دمَّروا ... من معشر، كم غيروا من مشعر!!
كم أبطلوا سنن النبي وعطّلوا ... من حلية التوحيد صهوة منبر!!

ثم قال:

لو صوِّر الإسلام شخصاً جاءكم ... عمداً بنفس الوامق المتحير
لو أنه نادى النصير لخصّكم ... ودعاكمو: يا أسرتي يا معشري!

ومنهم من ينطبق عليه قول الوشَّاح[3]:

قد باح دمعي بما أكتمه

فشعر بالندم وبعظم الذنب، فقال[4]:

يا جنة زحزحتنا عن زخارفها ... ذنوبنا فلزمنا البث والنَّدما

وقال الناثر واصفاً تلك الحال التي وصلت إليها بلاده بمن فيها: «...

---

(١) انظر الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، ص ٣٠٤.
(٢) انظر: ديوان ابن سهل بتحقيق يُسرى عبد الغني، ص ٣٥.
(٣) انظر: الموشح الأندلسي، ص ١٨١.
(٤) انظر: أصوات الهزيمة في الشعر الأندلسي، ص ٣٠.

وقد نضبت في ربوعها مياه الأمانة والأمان، ونبعت بين أهلها عيون الخيانة والبهتان، وضعف حبل الديانة فيهم والإيمان، فجنحوا إلى جحود النِّعم والكفران، وتوسَّعوا في مطاوعة الظلم والعدوان، فأبدلهم الله من النور في أحوالهم ظلاماً، وبالحلال في مكاسبهم حراماً، وخص أسعارهم بالغلاء، وجمعهم بالفناء، ولفيفهم بالتشتت والجلاء، وللخراب ما يعمرون، وللقتل ما يلدون، وللنهب ما يجمعون، ولغيرهم ما يكسبون **﴿وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون﴾** (الزمر: ٤٨) **﴿وكذلك أخذ ربك إذ أخذ القرى وهي ظالمة إنّ أخذه أليم شديد﴾** (هود: ١٠٢)...»[١].

وقال الشاعر بعد خضوع أهل بلاده للكفار وضعفهم، بل ودفع المال لهم[٢]:

يودّي مغرمٌ في كلِّ شهر ... ويؤخذ كلَّ صائفة عشور
فهم أحمى لحوزتنا وأولى ... بنا، وهم الموالي والعشير
لقد ذهب اليقين فلا يقينٌ ... وغر القوم بالله الغرور
فلا دِينٌ ولا دنيا ولكن ... غرورٌ بالمعيشة ما غرور
رضوا بالرق يالله!! ماذا ... رآه وما أشار به مشير
مضى الإسلام فابك دماً عليه ... فما ينفي الجوى الدمع الغزير

ثم يقول:

فليلٌ فيه همٌّ مستكن ... ويومٌ فيه شرٌّ مستطير
ونرجوا أن يتيح الله نصراً ... عليهم، إنّه نعم النصير

ونتيجة لذلك، فقد أخذت الروم تضرب في كل مكان من بلاد الأندلس مما جعل الشاعر يقول[٣]:

---

(١) من الذخيرة...، ق ٣، م ١، ص ٤١١، وانظر: أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري، ص ١٦٧.
(٢) القائل مجهول. انظر القصيدة في النفح...، ج ٤، ص ٤٨٣ ـ ٤٨٦.
(٣) القائل الكاتب أبو عبد الله محمد الفازازي. انظر السابق، ص ٤٦٧.

الـروم تضـرب فـي البـلاد وتغنـم والجـور يـأخـذ مـا بقـى والمغـرم
والمـــال يـــورد كُلـــه قشتـــالـــة والجنـد تسقـط والـرعيّـة تسلـم
وذووا التعيـن ليـس فيهـم مسلـم إلاَّ معيـــن مـــن الفســـاد مُسلِّـــم
أسفـي علـى تلـك البـلاد وأهلهـا الله يلطـف بـالجميـع ويـرحـم

ولأن الأندلس أصبحت في هذه الحال من الضعف وتكالب الأعداء عليها، فما كان منهم إلا التوجه بطلب النجدة من الآخرين بعد الله[1]:

يـا إلهـي وأنـت تعلـم حـالـي لا تـذرنـي شمـاتـة الأعـداء

وبهذا نصل إلى الفئة الثالثة، تلك التي اتجهت للاستغاثة وطلب العون لنجدة الأندلس، فقال الشاعر مستغيثاً بالله ثم بصاحب أفريقية أبي زكريا ابن أبي حفص[2]:

أدرك بخيلـك خيـل الله أنـدلسـا إن السبيـل إلـى منجـاتهـا درسـا
وهب لها من عزيز النصر ما التمست فلم يزل منك عزُّ النصر مُلتمسا
وحـاش ممّـا تعـانيـه حشـاشتهـا فطالما ذاقت البلوى صباح مسا

ثم قال مخاطباً الأمير في آخر القصيدة:

فاملأ هنيئاً لك التأييد ساحتها جـرداً سـلاهـبَ أو خطيّـة دعسـا
واضرب لها موعدا بالفتح ترقبه لعل يوم الأعادي قد أتى وعسى

ولأن الخطر محدق، والضياع مؤكد[3]، فلم «يزل أهل الأندلس بعد ظهور النصارى ـ دَمرَّهم الله تعالى ـ على كثير منها يستنهضون عزائم الملوك والسوقة لأخذ الثأر بالنظم والنثار. . .[4]، قال الشاعر داعياً صاحب إفريقية

---

(١) القائل: أبو جعفر ابن خاتمة، انظر السابق، ص ٣٤٦ وص ٣٤٨.
(٢) انظر: السابق، ص ٤٥٧ وما بعدها، والقائل هو الشاعر (ابن الأبار القضاعي).
(٣) انظر: رثاء المدن والممالك الزائلة. . .، ص ١٩٥.
(٤) من الفتح. . .، ج ٤، ص ٤٧٩.

أبا زكريا عبد الواحد بن أبي حفص[1]:

نـادتـك أنـدلـس فلـبِّ نـداءهـا ... واجعل طواغيت الصليب فداءها
صرخت بدعوتك العليَّة فاحبُها ... من عاطفاتك ما يقي حوباءها
واشدد بحبلك جرد خيلك أزرها ... تـردّد علـى أعقـابهـا أرزاءهـا

وقال آخر داعيا المعتضد بالله السعيد والمسلمين من أهل عدوة المغرب لنصرة المسلمين والإسلام في الأندلس[2]:

فـالمفـزع الله والـذخـر العتـاد أميـر ... المؤمنين. وحسبي في النجاء هما
خليفـة الله لـولا النـأي عنـك لمـا ... أجزت في الدهر جاز إذ حكما
وكنـت كاشف كرب لا انكشاف له ... وقمت ودوني من الأعداء منتقماً

وفي نفس القصيدة كان الشاعر قد شخص المصيبة في بلاده ومسبباتها، فقال[3]:

يا سائلي عن مصاب المسلمين بها ... اصغ لتسمع أمراً يورث الصمما
لمـا تفرَّقـت الأهـواء واضطرمـت ... نـار البغـاة فقـامـت للـردى علمـا
يا حسرة الدين والدنيا لأندلس ... مهما استطال بها التثليث واجترما

وإذا كان أهل الأندلس قد طلبوا العون من الآخرين خاصة أصحاب بر العدوة، إلا أنهم كثيراً ما يواجهون «بكسر الخواطر»[4]، فلجأوا إلى رب كريم داعين إياه بقولهم: «اللهم اعطف علينا قلوب العباد، اللهم بث لنا الحمية في البلاد، اللهم دافع عن الحريم والضعيف والأولاد، اللهم انصرنا

---

(١) انظر: السابق، ص ٤٧٩ وما بعدها، والقائل مجهول، وانظر رثاء المدن والممالك الزائلة ص ١٩٦ وما بعدها، وانظر دراسات أندلسية في الأدب والتأريخ والفلسفة ص ٢٧٠ ـ ٢٧١ وقد نسبها الدكتور الطاهر مكي لابن الأبّار.

(٢) انظر: الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، ص ٣٢٧.

(٣) انظر: السابق، نفس الصفحة.

(٤) انظر النفح...، ج ٤ ص ٥١١.

على أعدائك، بأحبابك وأوليائك يا خير الناصرين، اللهم أفرغ علينا صبراً وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين»[1].

وكان الناثر نفسه قد وضع المسؤولية على اعتاق أهل بلاده، فقال شعراً[2]:

ماذا يكون جوابكم لنبيكم ... وطريق هذا العذر غير ممهد
إن قال لم فرطتمو في أمتي ... وتركتموهم للعدو المعتدي
تالله لو أن العقوبة لم تخف ... لكفى الحيا من وجه ذاك السيد

وكان شعر الجهاد والدعوة له قد بلغت ذروتها في أواخر الدولة الإسلامية في الأندلس مما جعل البعض من الباحثين يركز الضوء عليها بل إن هناك كتباً قد رصدت هذا الشعر خاصة في العصر الموحدي[3].

---

(١) من منوعات ابن الخطيب، ص ١٢٢.

(٢) انظر: السابق، ص ١٢١.

(٣) فقد قام شفيق الرقب بإصدار دراسة حول «شعر الجهاد في عصر الموحدين»، وهو نفس عنوان الدراسة التي صدرت عن مكتبة الأقصى في عَمَّان.

ثالثاً: العلل الفكرية

لقد عانى الأندلسيون من احتقار المشارقة لكل شيء يأتي من المغرب[1]، كما عانى الأندلسيون أنفسهم من احتقار كل شيء أمام كل مشرقي حتى نتاجهم مما أدى إلى وجود ضعف نفسي تمكن منهم عندما يقفون أمام المشارقة[2]، ولذا نجد أن الأديب الأندلسي (ابن حزم) قد قال متضجرا من هذا الوضع[3]:

أنا الشمس في جو العلوم منيرة ولكن عيبي أن مطلعي الغرب

---

(١) من بحث لنا بعنوان «ظاهرة الانتماء في الأدب الأندلسي، ص ٧ وقد حوى بعض الأدلة التي تدل على احتقار المشارقة لكل ما هو مغربي.

(٢) من السابق، ص ٦.

(٣) انظر الذخيرة، ق ١، م ١، ص ١٧٣، وانظر ما كتب عن (ابن حزم) في ص ١٦٧ ـ وما بعدها، وانظر مطمح الأنفس. . . ، ص ٢٧٩، وانظر: ابن حزم صورة أندلسية، ص ١٤ وما بعدها وانظر الأبيات السابقة في ص ١٨٣ من هذا المرجع، وقد أشار في هامش الصفحة المذكورة لمصادر النَّص، كما ذكر أن الضبي قد أورد منها بيتين في مدح قاضي الجماعة، وله أخرى في ديوانه يشكو فيها وضعه في بلاده. انظر ص ٩٤. على أنه ينبغي أن نعرف أن ابن حزم لم يكن الوحيد الذي شكا من علة الجفاء من قبل بني قومه، فهناك (ابن شهيد) في التوابع والزوابع تلك القصة التي حاول من خلالها إثبات ذاته، وهناك (الأعمى التطيلي) الذي شكا سيادة أهل الفقه في عصره واندحار الشعر:

أيا رحمتا للشعر أقوت ربوعه على أنه للمكرمات مناسك

انظر: تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص ٤٩٥.

ولو أنني من جانب الشرق طالع ... لجد على ما ضاع من ذكرى النهب
ولي نحو أكناف العراق صبابة ... ولا غرو أن يستوحش الكلف الصب
فإن ينزل الرحمن رحلي بينهم ... فحينئذ يبدو التأسف والكرب
فكم قائل، أغفلته وهو حاضر ... وأطلب ما عنه تجيء به الكتب
هنالك يدري أن للبعد قصة ... وأن كساد العلم آفته القرب

وعلة ابن حزم هي علة ذاتية، شكا فيها قلة الاهتمام به وبعلمه في بلاده، إلاَّ أن هناك من المفكرين الأندلسين من انطلق في شكواه منطلقاً آخر، إذ كانت شكواه صدى لما شعر به هو والمفكرون الآخرون من عدم الاهتمام بالنتاج الفكري المحلي، وأنه إذا كانت هناك بعض الاهتمامات فلا تقاس بالاهتمام الذي يحظى به الفكر الوافد من المشرق، قال أبو الوليد الحميري[1]: «وأَمَّا أشعار أهل الشرق فقد كثر الوقوف عليها والنظر إليها حتى ما تميل نحوها النفوس... ثم قال: «ولا أحوج إليها بما أذكره للأندلسيين من النثر المبتدع، والنظم المخترع...»[2].

وقال (ابن بسام)[3] متضجراً هو الآخر من اهتمام الأندلسيين بأدب المشارقة وترك ما هو في بلادهم: «إلا أن أهل هذا الأفق أبوا إلا متابعة أهل الشرق، يرجعون إلى أخبارهم المعتادة رجوع الحديث إلى قتادة، حتى لو نعق بتلك الآفاق غراب، أو طن بأقصى الشام والعراق ذباب لجثوا على هذا صنماً وتلو ذلك كتاباً محكماً...» ثم قال مستغرباً ترك ما هو لديهم من نتاج

---

(١) هو إسماعيل بن محمد بن عامر بن حبيب. ت سنة ٤٤٠ هـ انظر ما كتب عنه في كتابة (البديع في وصف الربيع)، ص ٩ وما بعدها.
(٢) من مقدمة المؤلف لكتابه (البديع في وصف الربيع)، ص ٤.
(٣) هو أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني ت ٥٤٢ هـ، لم يترجم له محقق الذخيرة، وانظر ما كتب عنه في تأريخ الأدب العربي لفروخ، ج ٥، ص ٢٧٣ ـ ٢٧٥، وقد أشار، في ص ٢٨٠ لمصادر ترجمته.

فكري: «وأخبارهم الباهرة، وأشعارهم السائرة مرمى القصية ومناخ الرذية، لا يعمر بها جنان ولا خلد، ولا يصرف فيها لسان ولا يد، فغاظني منهم ذلك، وانفت مما هنالك...»[1].

وقال (ابن طلحة)[2] مخاطباً جماعة في محفل: «تقيمون القيامة لحبيب والبحتري والمتنبي وفي عصركم من يهتدي إلى ما لم يهتدوا إليه؟...»[3].

وكانت شكاوى الحميري وابن بسام وابن طلحة قد آتت أكلها، فقد ظهر في الأندلس أدب وفكر رفيع عبر عن ذواتهم، بل زاحم أدب المشرق، وأثر في الغرب مما جعل الشقندي يقول متباهياً أمام من فضل بر العدوة على بلاده: «الحمد لله الذي جعل لمن يفخر بجزيرة الأندلس أن يتكلم ملء فيه، ويطنب ما شاء فلا يجد من يعترض عليه ولا من يثنيه، إذ لا يقال للنهار: يا مظلم، ولا للوجه الحسن: يا قبيح:

وقد وجدت مكان القول ذا سعة فإن وجدت لساناً قائلاً فقل»[4]

وقال الشاعر (التجيبي)[5] رادّاً على من عاب على أهل الأندلس سوء خطهم[6]:

---

(١) من مقدمة المؤلف لكتابه «الذخيرة» ق ١، م ١، ص ١٢ وقد سمى الدكتور إحسان عباس موقفه هذا بالموقف الدفاعي. انظر: تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص ٥٠٢.

(٢) الكاتب أبو جعفر أحمد بن طلحة ت ٦٣٢ هـ، انظر ما كتب عنه في المغرب...، ج ٢، ص ٣٦٤ وفي هامش الصفحة أيضاً.

(٣) من النفح...، ج ٣، ص ٣٠٧.

(٤) انظر: الرسالة في السابق، ص ١٨٧ ـ ٢٢٢، وانظر ترجمة الشقندي (إسماعيل بن محمد) ص ٢٢٢ ـ ٢٢٤.

(٥) أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الله بن البراء التجيبي. انظر ما كتب عنه في: تحفة القادم، ص ١٤.

(٦) انظر: السابق، ١٦.

ما خَّيم المجد إلا في منازلنا ... فليس يَعْدِ لنا في الأرض من أحد
إذا بلوت فأخلاق مهذبةٌ ... وإن سألت فبذلٌ من فم ويد
من كل مكرمة فزنا بأوفرها ... حفظ لجوار لنا والأخذ بالقود

ثم يقول:

إن شئت من كَلِم الأعراب أفصحها ... فخذهُ عن والد مِنّا وعن ولد
تنبو حِدادُ الظُّبا عن غرب منطقنا ... نبوَّ ظُفرِ الفتى عن مخلب الأسدِ

وبعد:

فتلك علل تعرض لها المفكر الأندلسي في بلد كثرت فيه العلل، وتتالت فيه الفتن، ولكنهم مع ذلك كانوا قادرين على امتصاصها، مؤمنين بقضاء الله وقدره فكان لسان حالهم يقول ما قاله الشاعر[1]:

دوام حال من قضايا المحال ... واللطف موجود على كل حال
والنصر بالصبر محلى الظبي ... والجد بالجد مريش النبال
وعادة الأيام معهودة ... حرب وسلم والليالي سجال
وما على الدهر انتقاد على ... حال، فإن الحال ذات انتقال

وإذا كانوا مقتنعين بذلك، فإنهم يسلمون الأمر لخالقهم، فقد قال شاعرهم (عز الدولة) بعد سلبه ملكاه[2]:

لك الحمد بعد الملك أصبحت خاملاً بأرض اغتراب لا أمر ولا أحلي
وقد أصدأت فيها الجذاذة أنملي ... كما نسيت ركض الجياد بها رجلي
فلا مسمعي يصغي لنغمة شاعر ... وكفِّي لا تمتدّ يوماً إلى بذلِ

---

(١) انظر: الشعر الأندلسي في القرن التاسع الهجري...، ص ٣٩٢ ـ ٣٩٣.
(٢) انظر: الشعر الأندلسي في عصر الطوائف...، ص ٤٠٦.

ولهذا، فإنهم يظهرون التجامل أمام الناس، وأنهم قادرون على تحمل العلل، يقول الشاعر[1]:

إن الكـريـم إذا نـابتـه مخمصـة أبدى إلى الناس رياً وهو ظمآن
يحني الضلوع على مثل اللظى حرقاً والـوجـه غمـر بمـاء البشـر مـلآن

وإذا كانت تلك حال أهل الأندلس مع عللهم، فما دور تلك العلل في الإبداع؟ هل كانت مانعة أم دافعة له؟

مجموعة أسئلة واستفسارت لعل فيما قاله المعتمد[2]:

أنـام ومـا قلبـي عـن المجـد نـائـم وإن فـؤادي بـالمعـالـي لهـائـم
وإن قعدت بي علة عن طلابها فإن اجتهادي في الطلاب لدائم

وما قاله (ابن عبدون) في رقعة بعث بها إلى (ابن الجد): «. . . كتبت عن قريحة خمد لهيبها، ونحيزة ركد هبوبها، وذهن أمحت أضواؤه، وطبع أخوت أنواؤه، وجنان فلّ ظُبته الكسل، ولسان عقد عذبته الخجل، ندبته إلى الاحتفال فانقطع، وبعثته على الاسترسال فامتنع. . .»[3].

أقول: لعل فيما قالاه دلالة على معاناة حقيقية مع هذه العلل أو تلك، فمنهم من ينشط مع كثرتها، ومنهم من تضعف عزيمته فكان أهل الأندلس يمثلون صنفين: صنف متفاعل، وصنف متخاذل.

فكانوا بهذا الإنشطار يمثلون قمة القلق والحزن، بل إنهم يمثلون عللاً أخرى لمن يقرأ عنهم فقد تتمكن الرحمة منه، وقد يتغلب عليه اللوم، فيتجه للوم أولئك المتخاذلين[4]:

---

(١) انظر: السابق، ص ٤٠٧.
(٢) انظر: السابق، ص ٣٧٨.
(٣) من ديوان ابن عبدون (الشعر والنثر)، ص ٢١٠ ـ ٢١١.
(٤) الأبيات (لابن حزم). انظر ديوانه، ص ٧٠.

قد عاند الحزن حتى عاد يرحمه وساور الدمع حتى حف مدمعه
وصار يرحمه من كان يعذله لما اصطفاه من الأحوال أشنعه
تجول حلته في ذاته فترى آثار ما الدهر بالأحرار يصنعه
جسم تخونت الأيام جثته فعاد كالشنِّ مرآه ومسمعه
تناهبت نور الدنيا محاسنه فالضيم ملبسه والسجن موضعه

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

فهرس المصادر والمراجع

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

المصادر والمراجع

ـ **القرآن الكريم:**

ـ **ابن الأبار**، أبو عبد الله محمد بن عبد الله. . . المعروف بابن الأبّار:
تحفة القادم، حققّه وعَلّق عليه الدكتور إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦ هـ.

ـ **ابن الأبار**، أبو عبد الله محمد بن عبد الله. . . المعروف بابن الأبّار:
التكملة لكتاب الصّلة. تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري واللبناني، القاهرة وبيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠ هـ.

ـ **ابن الأبار**، أبو عبد الله محمد بن عبد الله. . . المعروف بابن الأبّار:
الحلة السيراء، حققه وعلق عليه الدكتور حسين مؤنس، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٦٣ م.

ـ **أحمد**، الدكتور محمد عبد القادر. . . :
دراسات في أدب ونصوص العصر الجاهلي، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الأولى، ١٤٠٣ هـ.

ـ **أدهم**، علي. . . :

المعتمد بن عباد، صدر ضمن سلسلة أعلام العرب عن المركز العربي للثقافة والعلوم، بيروت.

ـ **أسعد**، يوسف ميخائيل. . . :
سيكولوجية الإبداع في الفن والأدب، صدر ضمن سلسلة دراسات أدبية عن الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦ م.

ـ **إسماعيل**، الدكتور عبد المنعم. . . :
نظرية الأدب ومناهج الدراسات الأدبية. مكتبة الفلاح، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠١ هـ.

ـ **إسماعيل**، الدكتور عز الدين. . . :
الشعر العربي المعاصر ـ قضاياه وظواهره الفنيّة والمعنوية، دار الفكر العربي، بيروت، الطبعة الثالثة.

ـ **الإشبيلي**، أبو الوليد إسماعيل الحميري الإشبيلي:
البديع في وصف الربيع، حققه وكتب الدراسة وعَلقَّ عليه الدكتور عبد الله عبد الرحيم عسيلان، دار المدني، جدة، الطبعة الأولى، ١٤٠٧ هـ.

ـ **الأصبهاني**، أبو الفرج. . . :
الأغاني، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت.

ـ **الألبيري**، أبو إسحاق الإلبيري الأندلسي:
ديوان أبي إسحاق الإلبيري، حققه وشرحه الدكتور محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر في لبنان ودار الفكر بدمشق، الطبعة الأولى ١٤١١ هـ.

ـ **أمين**، أحمد. . . :
ظهر الإسلام، ج ٣، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الخامسة.

ـ **الأندلسي**، ابن الحداد. . . :
ديوان ابن الحدّاد، جمعه وحققه وشرحه وقدَّم له الدكتور يوسف علي طويل، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠ هـ.

ـ **الأندلسي**، ابن خاتمة . . . :
ديوان ابن خاتمة الأنصاري الأندلسي. حققه وقدّم له الدكتور محمد رضوان الداية، دار الحكمة، ١٣٩٩ هـ.

ـ **الأندلسي**، ابن سهل . . . :
ديوان ابن سهل الأندلسي. دراسة وتحقيق يُسرى عبد الغني عبد الله، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ.

ـ **الأندلسي**، ابن شهيد . . . :
ديوان ابن شهيد الأندلسي، جمعه وحققه يعقوب زكي، راجعه الدكتور محمود علي مكي دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة.

ـ **الأوسي**، الدكتور حكمة علي . . . :
الأدب الأندلسي في عصر الموحدين. مكتبة الخانجي، القاهرة.

ـ **بالنثيا**، آنخل . . . :
تأريخ الفكر الأندلسي. تعريب الدكتور حسين مؤنس، الإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية، القاهرة.

ـ **بدر**، الدكتور عبد المحسن طه . . . :
حول الأديب والواقع، دار المعارف، الطبعة الثانية.

ـ **البرزة**، الدكتور أحمد مختار . . . :
الأسر والسجن في شعر العرب. مؤسسة علوم القرآن، دمشق وبيروت الطبعة الأولى، ١٤٠٥ هـ.

ـ **بروفنسال، ليفي** . . . :
حضارة العرب في الأندلس، ترجمة ذوقان قرقوط، دار مكتبة الحياة، بيروت.

ـ **ابن بشكوال**، أبو القاسم خلف بن عبد الملك. . . :
الصلة. تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري واللبناني، الطبعة الأولى، ١٤١٠ هـ.

ـ **البلنسي**، الرصافي. . . :
ديوان الرَّصافي البلنسي، جمعه وقدّم له الدكتور إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت ١٤٠٩ هـ.

ـ **البلنسي**، ابن الزقّاق. . . :
ديوان ابن الزقاق البلنسي. تحقيق عفيفة محمود ديراني، دار الثقافة، بيروت، ١٤٠٩ هـ.

ـ **بهجت**، الدكتور منجد مصطفى. . . :
الاتجاه الإسلامي في الشعر الأندلسي في عهدي ملوك الطوائف والمرابطين. مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧ هـ.

ـ **بهجت**، الدكتور منجد مصطفى. . . :
الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة ٩٢ ـ ٨٩٧ هـ، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، بغداد، ١٤٠٨ هـ.

ـ **بيرس**، هنري. . . :
الشعر الأندلسي في عصر الطوائف: ملامحه العامة وموضوعاته الرئيسة وقيمته التوثيقية. ترجمة الدكتور الطاهر أحمد مكي، دار المعارف، ١٤٠٨ هـ.

ـ **بيضون**، الدكتور إبراهيم. . . :
الأمراء الأمويون الشعراء في الأندلس (دراسة في أدب السلطة)، دار النهضة العربية، بيروت.

ـ **تنير، سليم**. . . :
ديوان عبد المجيد بن عبدون في أعماله الأدبية (الشعر والنثر). إعداد وتحقيق سليم تنير، دار الكتاب العربي، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ.

ـ **ثقفان**، الدكتور عبد الله. . . :
ظاهرة الانتماء في الأدب الأندلسي. . . (بحث مخطوط)، ١٤١٣ هـ.

ـ **جبور**، د. جبرائيل. . . :
ابن عبد ربه وعقده. صدر عن دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٧٩ م.

ـ **جرار**، ماهر زهير. . . :
شعر الرمادي (يوسف بن هارون) شاعر الأندلس في القرن الرابع الهجري. المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٠ هـ.

ـ **الجرجاني**، علي بن محمد. . . :
كتاب التعريفات. مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٩٠ م.

ـ **الجندي**، أنور. . . :
خصائص الأدب العربي. دار الكتاب اللبناني والمصري.

ـ **الجوزية**، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية:
الطب النبوي، حقّقه وعلق عليه الدكتور عبد المعطي أمين قلعجي، دار التراث، القاهرة، الطبعة الأولى ١٣٩٨ هـ.

ـ **الجوهري**، إسماعيل بن حماد. . . :
الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية). تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، الطبعة الثانية ١٤٠٢ هـ.

ـ **الحاجري**، الدكتور محمد طه. . . :
ابن حزم صورة أندلسية، دار النهضة العربية للنشر، بيروت ١٩٨٢ م.

ـ **ابن الحارث**، امرؤ القيس بن حجر. . . :
ديوان امرىء القيس. ضبطه وصححه مصطفى عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الأولى، ١٤٠٣ هـ.

ـ **الحجي**، الدكتور عبد الرحمن علي. . . :
التأريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة (٩٢ ـ ٨٩٧ هـ). دار الاعتصام، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٣ هـ.

ـ **الحسناوي**، محمد. . . :
في الأدب والحضارة. المكتب الإسلامي في بيروت، دار عَمَّار في عَمَّان، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ.

ـ **حسين**، الدكتور عبد الرزاق. . . :
المختار من شعر شعراء الأندلس لابن الصيرفي. تحقيق الدكتور عبد الرزاق. . . ، دار البشير، عمان، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ.

ـ **الحمصي**، الدكتور أحمد سليم. . . :
ابن زمرك الغرناطي، سيرته وأدبه. مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ.

ـ **الحميدي**، أبو عبد الله محمد بن أبي نصر. . . :
جذوة المقتبس في تأريخ علماء الأندلس. تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري واللبناني، الطبعة الثانية، ١٤١٠ هـ.

ـ **أبو حويج**، الدكتور مروان سليم. . . :
أصالة التثقيف التربوي الإسلامي في الفكر الأندلسي. الدار الجامعية، ١٩٨٧ م.

ـ **ابن حيان**، أبو مروان حيان بن خلف بن حسين. . . :
المقتبس، الجزء الخامس. نشره ب، شالميتا، صدر عن المعهد الأسباني العربي للثقافة وكلية الآداب بالرباط، مدريد ١٩٧٩ م.

ـ **ابن حيان**، . . . :
المقتبس في أخبار بلد الأندلس. تحقيق الدكتور عبد الرحمن على الحجي، دار الثقافة، بيروت ١٩٨٣ م.

ـ **ابن حيان**، . . . . :

ـ **المقتبس** من أنباء أهل الأندلس، حقَّه وقدّم له وعَلَّق عليه الدكتور محمود علي مكي، دار الكتاب العربي، بيروت ١٣٩٣ هـ.

ـ **ابن خاقان**، أبو نصر الفتح بن محمد بن عبد الله. . . :
قلائد العقيان في محاسن الأعيان. قدَّم له ووضع فهارسه محمد العنابي، المكتبة العتيقة بتونس.

ـ **ابن خاقان**، . . . :
مطمح الأنفس ومسرح التَّأنس في ملح أهل الأندلس. دراسة وتحقيق محمد علي شوابكة، مؤسسة الرسالة، بيروت الطبعة الأولى، ١٤٠٣ هـ.

ـ **ابن الخطيب**، لسان الدين. . . :
الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٩٣.

ـ **ابن الخطيب**، . . . :
ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام. دراسة وتحقيق الدكتور محمد الشريف قاهر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، الطبعة الأولى ١٩٧٣ م.

ـ **خفاجي** د. محمد عبد المنعم. . . :
الأدب الأندلسي، التطور والتجديد. دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ.

ـ **ابن خلكان**، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد. . . :
وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار صادر، بيروت ١٣٩٧ هـ.

ـ **الداية**، الدكتور محمد رضوان. . . :
تأريخ النقد الأدبي في الأندلس. مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠١ هـ.

ـ **الداية**، الدكتور محمد. . . :
المختار من الشعر الأندلسي. دار الفكر المعاصر في بيروت، ودار الفكر بدمشق، الطبعة الثالثة، ١٤١٣ هـ.

ـ **الدغـلي**، محمد سعيد. . . :
الحياة الاجتماعية في الأندلس وأثرها في الأدب العربي وفي الأدب الأندلسي. الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ.

ـ **الدقاق**، الدكتور عمر. . . :
ملامح الشعر الأندلسي. دار الشرق العربي، بيروت.

ـ **الرافعي**، مصطفى صادق. . . :
تأريخ آداب العرب، الجزء الثالث. دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٤ هـ.

ـ **الربيعة**، الدكتور عبد العزيز بن عبد الرحمن. . . :
السبب عند الأصوليين. صدر عن جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض.

ـ **رحيم**، مقداد. . . :
النوريات في الشعر الأندلسي. عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦ هـ.

ـ **الرقب**، شفيق الرقب. . . :
شعر الجهاد في عصر الموحدين. مكتبة الأقصى، عمان ١٤٠٤ هـ.

ـ **الركابي**، الدكتور جودت. . . :
في الأدب الأندلسي. دار المعارف، مصر.

ـ **الريسوني**، محمد المنتصر. . . :
الشعر النسوي في الأندلس. دار مكتبة الحياة، بيروت ١٩٧٨ م.

ـ **ابن زكريا**، أبو الحسين أحمد بن فارس. . . :
مجمل اللغة. دراسة وتحقيق زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٦ هـ.

ـ **الزركلي**، خير الدين. . . :
الأعلام. دار العلم للملايين، الطبعة التاسعة، ١٩٩٠ م.

ـ **زيدان**، الدكتور عبد القادر. . . :
قضايا العصر في أدب أبي العلاء المعري. صدر ضمن سلسلة دراسات أدبية عن الهيئة المصرية العامة لكتاب، ١٩٨٦ م.

ـ **السائح**، الحسن بن محمد. . . :
منوعات ابن الخطيب، تأليف وتحقيق الحسن بن محمد السائح، صدر عن مديرية الشؤون الإسلامية، الرباط، ١٣٩٨ هـ.

ـ **سالم**، د. السيد عبد العزيز. . . :
تأريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس (من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة). مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرلاية.

ـ **سالم**، د. السيد. . . :
في تأريخ وحضارة الإسلام في الأندلس. مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، ١٩٨٥ م.

ـ **سلامة**، الدكتور علي محمد. . . :
الأدب العربي في الأندلس ـ تطوره، موضوعاته وأشهر أعلامه. الدار العربية للموسوعات، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٩ .

ـ **سيترن**، صموئيل. م. . . :
الموشح الأندلسي. ترجمة وتقديم الدكتور عبد الحميد شيحة، مكتبة الآداب، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١١ هـ.

ـ **ابن سيناء**، الشيخ الرئيس أبو علي الحسين بن علي. . . :
القانون في الطب، تحقيق الدكتور إدوار القش، مؤسسة عز الدين، بيروت، ١٤٠٨ هـ.

ـ **السيوفي**، الدكتور مصطفى. . . :
ملامح التجديد في النثر الأندلسي خلال القرن الخامس الهجري، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥ هـ.

ـ **السيد**، الدكتور أبو بكر أحمد. . . :
دروس من الأندلس. صدر ضمن سلسلة منبر الدعوة عن دار القلم، الكويت، ١٤٠٨ هـ.

ـ **شاك**، فون. . . :
الشعر العربي في أسبانيا وصقلية، ج ١. ترجمة الدكتور الطاهر أحمد مكي. دار المعارف، الطبعة الأولى ١٩٩١ م.

ـ **ابن شريفة**، الدكتور محمد. . . :
البسطي ـ آخر شعراء الأندلس. دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٧ م.

ـ **الشكعة**، الدكتور مصطفى. . . :
الأدب الأندلسي ـ موضوعاته وفنونه. دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٩٨٣ م.

ـ **شلبي**، الدكتور سعد. . . :
البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر (عصر ملوك الطوائف). دار نهضة مصر.

ـ **شلبي**، الدكتور سعد. . . :
ابن حمد يس الصقلي شاعراً. دار الفكر العربي، القاهرة.

ـ **الشنتريني**، ابن بسام. . . :
الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة. تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٣٩٩ هـ.

ـ **الصّفدي**، خليل بن أيبك. . . :
تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. المكتبة العصرية، بيروت.

ـ **ضيف**، الدكتور شوقي. . . :
عصر الدول والإمارات (الأندلس). دار المعراف.

ـ **ضيف**، الدكتور شوقي. . . :
الفن ومذاهبه في الشعر العربي. دار المعارف بمصر، الطبعة العاشرة.

ـ **طحطح**، فاطمة. . . :
الغربة والحنين في الشعر الأندلسي. كلية الآداب، الرباط ١٩٩٣ م.

ـ **الطيار**، رضا عبد الجليل. . . :
الدراسات اللغوية في الأندلس. دار الرشيد للنشر، بغداد ١٩٨٠ م.

ـ **الظاهري**، ابن حزم. . . :
ديوان الإمام ابن حزم الظاهري. جمع وتحقيق ودراسة الدكتور صبحي رشاد عبد الكريم، دار الصحابة بطنطا، الطبعة الأولى، ١٤١٠ هـ.

ـ **عاصي**، الدكتور ميشال. . . :
الشعر والبيئة في الأندلس، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت ١٩٧٠ م.

ـ **العاني**، الدكتور سامي مكي. . . :
دراسات في الأدب الأندلسي. الجامعة المستنصرية، بغداد، ١٩٧٨ م.

ـ **عباس**، الدكتور إحسان. . . :
تأريخ الأدب الأندلسي (عصر سيادة قرطبة). دار الثقافة، بيروت. الطبعة السادسة، ١٩٨١ م.

ـ **عباس**، الدكتور إحسان. . . :
تأريخ الأدب الأندلسي (عصر الطوائف والمرابطين). دار الثقافة، بيروت، الطبعة السادسة. ١٩٨١.

ـ **عباس**، الدكتور إحسان. . . :
تأريخ النقد الأدبي عند العرب (نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري). دار الثقافة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٨ هـ.

ـ **ابن عبد الله**، عبد العزيز. . . :
الفلسفة والأخلاق عند ابن الخطيب. دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٣ م.

عبد الحليم: د. عبد اللطيف. . . .
نصوص في الأندلس. دار الثقافة العربية، مصر، ١٩٨٦ م.

ـ **ابن عبد ربه**، أحمد بن محمد بن عبد ربه القرطبي الأندلسي:
ديوان ابن عبد ربه. . جمعه وحقّقه وشرحه الدكتور محمد رضوان الدّاية، دار الفكر، سورية، الطبعة الثاني، ١٤٠٧ هـ.

ـ **ابن عبد ربه**. . . :
العقد الفريد، ج ٣، تحقيق محمد سعيد العريان، دار الفكر.

ـ **عبد الرحيم**، الدكتور مصطفى عليان. . . :
تيارات النقد الأدبي في الأندلس في القرن الخامس الهجري. مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٤ هـ.

ـ **عبد العزيز**، الدكتور أحمد. . . :
قضية السجن والحرية في الشعر الأندلسي. مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الأولى، ١٤١٠ هـ.
عتيق، الدكتور عبد العزيز. . .
الأدب العربي في الأندلس. دار النهضة العربية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٦ هـ.

ـ **عجلان**، د. عباس بيومي. . . :
عناصر الإبداع الفني في شعر الأعشى. مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٨٥ م.

ـ **عصفور**، د. جابر. . . :
المرايا المتجاورة ـ دراسة في نقد طه حسين، صدر ضمن سلسلة دراسات أدبية عن الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٣ م.

ـ **عنان**، الدكتور محمد عبد الله. . . :
١ ـ أندلسيات، صدر ضمن سلسلة «كتاب العربي» الكويتية، يوليو ١٩٨٨ م.

٢ ـ دولة الإسلام في الأندلس من الفتح إلى بداية عهد الناصر (العصر الأول ـ القسم الأول)، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٤٠٨ هـ.

٣ ـ دولة الإسلام في الأندلس (الخلافة الأموية والدولة العامرية). وهو القسم الثاني من العصر الأول. مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٤٠٨ هـ.

٤ ـ دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي (العصر الثاني من كتاب دولة الإسلام في الأندلس). مكتبة الخانجي القاهرة، الطبعة الثانية.

٥ ـ عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس (العصر الثالث من كتاب دولة الإسلام في الأندلس)، القسم الأول (عصر المرابطين وبداية الدولة الموحدية). مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٨٣ هـ.

٦ ـ القسم الثاني (عصر الموحدين وانهيار الأندلس الكبرى). مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٨٤ هـ.

٧ ـ نهاية الأندلس وتأريخ العرب المتنصرين، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٤٠٨ هـ.

ـ **عناني**، الدكتور محمد زكريا. . . :

ديوان الموشحات الأندلسية (مستدرك يتضمن نصوصاً تنشر لأول مرة). دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، الطبعة الثانية، ١٩٨٦ م.

ـ **عيد**، الدكتور يوسف. . . :

أصوات الهزيمة في الشعر الأندلسي. دار الفكر اللبناني، الطبعة الأولى، ١٩٩٣ م.

ـ **عيد**، الدكتور يوسف. . . :

التوشيح في الموشحات الأندلسية. دار الفكر اللبناني، الطبعة الأولى، ١٩٩٣ م.

ـ **عيسى**، الدكتور فوزي. . . :

١ ـ رسائل أندلسية. تحقيق الدكتور فوزي عيسى، منشأة المعارف بالإسكندرية، الطبعة الأولى، ١٩٨٩ م.

٢ ـ الشعر الأندلسي في عصر الموحدين. دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ١٩٩١ م.

٣ ـ الموشحات والأزجال الأندلسية في عصر الموحدين. دار المعرفة الجامعية بالإسكندرية، ١٩٩٠ م.

٤ ـ الهجاء في الأدب الأندلسي. دار المعارف بمصر.

ـ **غازي** الدكتور سيد. . . :

ديوان الموشحات الأندلسية. منشأة المعارف، الإسكندرية ١٩٧٩ م.

ـ **غريب**، جورج. . . :

العرب في الأندلس. دار الثقافة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٧٨.

ـ **الغزال**، يحيى بن حكم. . . :

ديوان يحيى بن حكم الغزال. حقّقه وشرحه وقدّم له الدكتور محمد رضوان الداية، دار قتيبة، دمشق. الطبعة الأولى، ١٤٠٢ هـ.

ـ **غومس**، إميليو غرسيه. . . :

الشعر الأندلسي: بحث في تطوره وخصائصه. ترجمة الدكتور حسين مؤنس، مكتبة النهضة المصرية.

ـ **فتح الباب**، الدكتور حسن. . . :

رؤية جديدة لشعرنا القديم. . . ، دار الحداثة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٤ م.

ـ **الفيروزآبادي**، مجد الدين محمد بن يعقوب. . . :

القاموس المحيط. مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦ هـ.

ـ **فروخ**، الدكتور عمر . . . :
١ ـ تأريخ الأدب العربي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٤ م.
٢ ـ تأريخ الأدب العربي (الأعصر العباسية). دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠١ هـ.

ـ **ابن القوطية**، أبو بكر محمد بن عمر القرطبي . . . :
تأريخ افتتاح الأندلس. تحقيق إبراهيم الأبياري، صدر ضمن سلسلة المكتبة الأندلسية عن دار الكتاب المصري واللبناني، الطبعة الثانية، ١٤١٠ هـ.

ـ **القيرواني**، ابن شرف . . . :
ديوان ابن شرف القيرواني، تحقيق الدكتور حسن ذكري حسن. مكتبة الكليات الأزهرية.

ـ **القيسي**، فايز فلاح . . . :
أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري. دار البشير، عَمَّان، ١٤٠٩ هـ.

ـ **الماضي**، الدكتور شكري عزيز . . . :
في نظرية الأدب، صدر ضمن سلسلة النقد الأدبي عن دار الحداثة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٦ م.

ـ **مجمع**، اللغة العربية بالقاهرة.
المعجم الوسيط، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

ـ **ابن محمد**، علي . . . :
النثر الأدبي الأندلسي في القرن الخامس ـ معناه وأشكاله. دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٠ م.

ـ **محمد**، الدكتور عبد الرحمن حسين. . . :
رثاء المدن والممالك في الشعر العربي حتى سقوط غرناطة. الطبعة الأولى، ١٤٠٣ هـ.

ـ **محمود**، الدكتور نافع. . . :
اتجاهات الشعر الأندلسي إلى نهاية القرن الثالث الهجري. دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، الطبعة الأولى ١٩٩٠ م.

ـ **ابن مراد**، إبراهيم. . . :
مختارات من اشعر المغربي والأندلسي لم يسبق نشرها. دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦ هـ.

ـ **المراكشي**، عبد الواحد. . . :
المعجب في تلخيص أخبار المغرب. صححه محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي، مطبعة الاستقامة بالقاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٦٨ هـ.

ـ **المراكشي**، ابن عذاري. . . :
البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب. تحقيق ومراجعة ج. س. كولان، وأ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٣.

ـ **المرسي**، أبو بحر صفوان بن إدريس التجيبي. . . :
زاد المسافر، أعده وعَلَّق عليه عبد القادر حداد، دار الرائد العربي، بيروت ١٩٨٠ م.

ـ **المشرق**، دار المشرق للنشر:
المنجد في اللغة والأعلام، الطبعة رقم (٢١)، ١٩٧٣ م.

ـ **مصطفى**، الدكتور عدنان صالح. . . :
في الشعر الأندلسي. دار الثقافة، الدوحة، الطبعة الأولى، ١٤٠٧ هـ.

ـ **مصطفى**، الدكتور قيصر. . . :
حول الأدب الأندلسي، مؤسسة الأشرف، بيروت.

ـ **المطلبي**، الدكتور عبد الجبار. . . :
دراسات في الأدب الإسلامي والأموي (الشعراء نقاداً). صدر ضمن سلسلة كتب شهرية (آفاق) عن دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، الطبعة الأولى، ١٩٨٦ هـ.

ـ **المغربي**، ابن سعيد. . . :
المغرب في حلى المَغْرب، حقّقه وعَلَّق عليه الدكتور شوقي ضيف، دار المعارف، الطبعة الثالثة.

ـ **المقدسي**، أنيس. . . :
أمراء الشعر العربي في العصر العباسي. دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة العاشرة، ١٩٧٥ م.

ـ **المقري**، الشيخ أحمد بن محمد. . . :
نفح الطيب من غصن الأندلس الرّطيب. تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٣٨٨ هـ.

ـ **مكي**، الدكتور الطاهر أحمد. . . :
الأدب الأندلسي من منظور أسباني، مجموعة مقالات مترجمة. مكتبة الأديب، القاهرة، ١٤١٠ هـ.

ـ **مكي**، الدكتور الطاهر أحمد. . . :
دراسات أندلسية في الأدب والتأريخ والفلسفة. دار المعارف، القاهرة ١٩٨٧ م.

ـ **الملائكة**، الدكتورة نازك. . . :
قضايا الشعر المعاصر، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة السادسة، ١٩٨١ م.

ـ **مومني**، الدكتور قاسم. . . :
نقد الشعر في القرن الرابع الهجري. دار الإصلاح للطباعة والنشر، الدمام.

ـ **الميداني**، أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري. . . :
مجمع الأمثال. حقّقه محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، لبنان الطبعة الثالثة، ١٣٩٣ هـ.

ـ **ابن نبي**، مالك. . . :
مشكلة الثقافة. دار الفكر، دمشق ١٤٠١ هـ.

ـ **نعيسة**، حسن. . . :
شعراء وراء القضبان. دار الحقائق، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٦ م.

ـ **نور الدين**، د. حسن محمد. . . :
ابن خفاجة (شاعر شرق الأندلس ٤٥٠ ـ ٥٣٣ هـ). صدر ضمن سلسلة الأعلام من الأدباء والشعراء عن دار الكتب العلمية. بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١ هـ.

ـ **الهرامة**، عبد الحميد عبد الله. . . :
آثار أبي زيد الفازازي الأندلسي. دار قتيبة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ.

ـ **الهرامة**، الأعمي التطيلي ـ حياته وأدبه. المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس ليبيا. الطبعة الأولى، ١٣٩٢ هـ.

ـ **الهمذاني**، عبد الرحمن بن عيسى. . . :
كتاب الألفاظ الكتابية. دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٠ هـ.

ـ **هيكل**، الدكتور أحمد. . . :
الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة. دار المعارف، الطبعة الثامنة، ١٩٨٢ م.

ـ **هيكل**، الدكتور أحمد. . . :
قصائد أندلسية (دراسة أدبية). مكتبة الشباب، مصر.

ـ **وهبة**، مجدي. . . (بالمشاركة):
نظرية الأدب. رينيه ويليك وأوستن وارين، ترجمة محيي الدين صبحي، مراجعة الدكتور حسام الخطيب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨١ م.

ـ **اليعلاوي**، محمد. . . :
ابن هانىء المغربي الأندلسي شاعر الدولة الفاطمية ٣٢٠ ـ ٣٦٢ هـ. دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٥ هـ.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مدخل	٥
البحث	١٥
الشكوى من العلة	١٧
الحزن والشخصية الأندلسية	٢٤
أولاً: العلل الذاتية	٣٤
ثانياً: العلل الاجتماعية	٤٩
ثالثاً: العلل الفكرية	٦٦
فهرس المصادر والمراجع	٧٣
فهرس الموضوعات	٩٥

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

مكتبة التوبة
الرياض - المملكة العربية السعودية - شارع جرير
هاتف ٤٧٦٣٤٢١ ص. ب ١٨٢٩٠ الرمز ١١٤١٥